
أبو دجانة
الخراساني
(القصة الكاملة لعملية خوست)
بقلم الأخ المجاهد
أبو الحسن الوائلي
حفظه الله
الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

أبــو دجــانــة الــخــراســانــي

كتبه أخوه ومحبه:

أبو الحسن الوائلي

شهر الله المحرم 1433 هـ

(أحب أن أنوّه إلى أن رعاية الله لي، وفضله علي، ومكره بأعدائه، وكيده لي، هو ما أوصلني إلى أرض الجهاد وقد كنت أسيراً كسيراً في زنزانة انفرادية لا حول لي ولا قوة، وإن كتب الله لهذه الخطة النجاح وتمكنا بفضله من إيقاع النكاية وإلحاق الأذية بهم، فلن يكون ذلك إلا برعاية الله وفضله ومكره وكيده، فأبرأُ إلى الله من نسبة أي فضل أو مكر أو كيد إلى نفسي، ولكني أسأل الله أن يستعملنا في ذلك، وأن لا يحرمنا الأجر في الدنيا والآخرة)

أبو دجانة الخراساني (من رسالة له خاصة أرسلها إلى الشيخ عطية الله)



د.أبو دجانة الخراساني (همام البلوي)

الحمد لله الذي يتخذ من عباده شهداء ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله الأتقياء، وصحبه الأوفياء، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

شغلت عملية أبي دجانة الخراساني –رحمه الله– أذهان الكتّاب والصحفيين والمحللين، واحتاروا في وصفها، وتاهوا في فصولها، فاختلفوا فيها وليس في يدهم بينة على أكثر أقوالهم، فأحببت أن يكون هذا الكتاب دليل الحائرين ومرجع التائهين في تبيين فصول هذه العملية العظيمة، وأن يكون نافذة نعرف من خلالها البطل أبا دجانة، لعلّ ذلك يكون سببا في شحذ الهمم، وزرع روح التصميم، في قلوب أبناء هذه الأمة ليخرج من رحمها الولود غرساً يستعملهم الله لإقامة دينه ونشر شريعته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لَا يَزَالُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ بِغَرْسٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ» رواه أحمد، وابن ماجه وغيرهما وصححه الشيخ الألباني.

وقد سمعت أحداث العملية البطولية مباشرة من الشيخ الحبيب والوالد الأديب عطية الله –رحمه الله–، وذلك بعد يومين من تنفيذ أبي دجانة للعملية، وقد سرد الشيخُ لي القصَّةَ كاملةً من البداية إلى نهايتها، وكان وجهه نيِّراً مستبشراً، فرحاً بما قام به أحدُ جنودِهِ النجباء.

وعملت في هذا الكتاب على تدعيم تلك الأحداث وجعلت بين ثناياها ما نشره شهيدنا من قبلُ عبر قنوات الإعلام الجهادي كي تكون رسالة شبه كاملة عن القصة البطولية التي أقضت مضاجع الصليبيين وأعوانهم من حكومة الأردن العميلة.

وقد طلبت من الشيخ عطية الله –رحمه الله– أن يساعدني في هذه المهمة، فلبى كعادته وسارع بإرسال الرسائل الخاصة التي كانت بينه وبين أبي دجانة، فقد كانت من عادة الشيخ أن يحتفظ بالرسائل القيمة التي تحمل الذكريات الجميلة، وأوصاني بلزوم الصدق

في الكتابة، وكان يسألني بين الفينة والأخرى عن تطور الكتابة عن أبي دجانة وأين وصلت وماذا أحتاج لإتمامها؟ ثم قدر الله أن يخرج هذا الكتاب بصورته هذه بعد أن استشهد الشيخ عطية، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في عليين.

يجهل الكثيرون أن الشيخ عطية الله كان بطل العملية الثاني وأهم ركن فيها بعد منفذها –رحمهما الله–، فأبو دجانة ما أُرسل وما جنّد إلا لقتل عطية الله في الدرجة الأولى!!، ولا غرو أن يجند الرجال لاستهداف مثل هذا الرجل الكبير، فالشيخ عطية من عظماء وحكماء أمة الإسلام وعباقرة الجهاد وقادته الأفذاذ.

وأقف هنا وقفة مع هذا الشيخ الجليل، فمع دوره الكبير في هذه العملية الكبيرة، لم يكن له أي تصريح بهذا الشيء لا داخل صفوف المجاهدين ولا خارجها، وهذا أعظم ما يميز قادة الجهاد عن غيرهم، فلقد عرفناهم لا يحبون سماع الثناء والمدح عليهم من غيرهم –وهم أهل لذلك–.. وأقول في نفسي: ماذا لو كان غيرهم؟ لربما أشبعوا مسامعنا في الحديث عن ذكائهم وعبقريتهم في التخطيط لمثل هذه العملية الاستخباراتية الكبيرة الناجحة.

ومن هنا أسأل الله أن يجزي شيخنا ووالدنا وأميرنا المكرم أبا عبد الرحمن عطية الله جمال إبراهيم المصراتي على مساعدته لي في هذه الرسالة جزاه الله خير الجزاء.

يقول أبو دجانة للشيخ عطية في رسالة خاصة بينهما:

(حبيبي، وقرة عيني، ومن أسأل الله أن يجعل نحري دون نحره، وصدري دون صدره.

شيخنا الغالي؛ هنيئاً لك كره أعداء الإسلام لك، وهنيئاً لك هذه النكاية التي أوقعتها بأعداء الله الأمريكان وكلابهم المرتدين، حتى أنهم يتمنون أن ينالوا منك ولو بإرسال

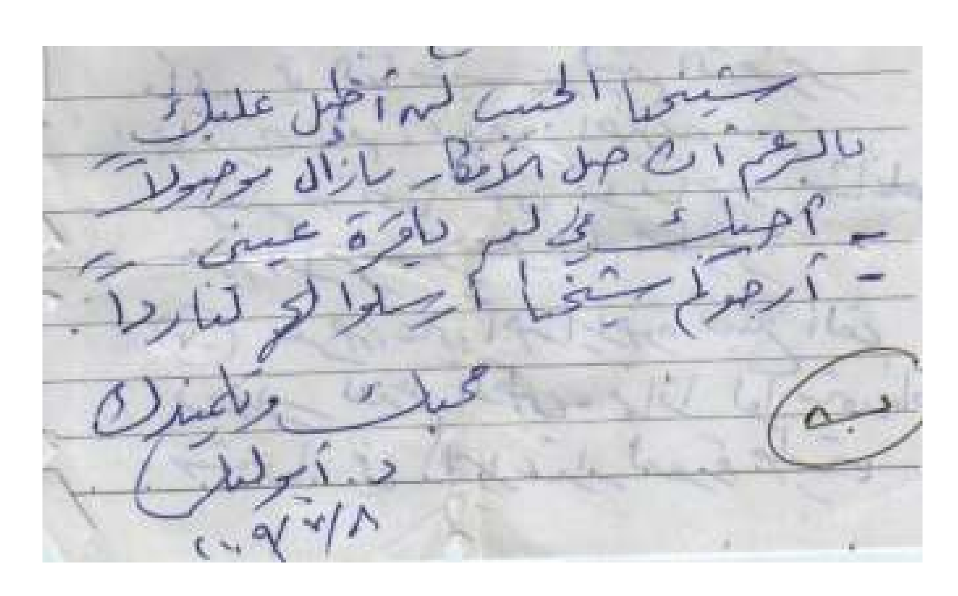
شخص مثلي قضى سنين من عمره في الكتابة في المنتديات، ظناً منهم أن إلههم الدينار والدولار قادر على إضلال كل أنواع البشر ليكونوا عبيداً لغير الله.

ولقد أعمى الله بصرهم وبصيرتهم وكان حرصهم البالغ على النيل منك شيخنا الغالي سبباً مهماً بعد فضل الله على أن يدخلوا هذه المغامرة التي يعرفون خطرها!..)

ويقول للشيخ عطية عندما وصل إلى ساحة الجهاد وطلب لقاء الشيخ:

(والله أشتاق للقائك يا شيخ، وقد مكثت شهرين وأنا أتآمر مع أعداء الله لقتلك!، فإذا لقيتك فسأقتلك بطريقتي الخاصة! "ضمة إلى الصدر وقبلة على الجبين".

خسئوا أعداء الله وخابوا، فوالله إني لا أتأخر عن بذل نفسي دون نفسك، ونحري دون نحرك، والله وحده يعلم صدق أو كذب دعواي هذه). ولما قرأت هذا الكلام على أحد الإخوة الذين كانوا برفقة أبي دجانة عندما قابل الشيخ عطية لأول مرة قال لي: نعم فعل هكذا! "ضمة على الصدر، وقبلة على الجبين" .. حتى ذكر لي وغيرُه من الإخوة أن أبا دجانة بكى من شدة الفرح في ذلك اليوم.



شيخنا الحبيب لم أطل عليك
بالرغم أن [illegible] ما زال [illegible]
- أحبك في الله يا قرة عيني
- أرجو من شيخنا أن [illegible]
محبك وتلميذك
د. أبو دجانة
٨/٢/٢٠٠٩

(رسالة من أبي دجانة إلى الشيخ عطية الله)

وأحب أن أنوّه على أني عندما أكتب هذه السيرة العطرة فلا أقصد في ذلك أني كنت ممن ساهم في صنع فصول تلك العملية المباركة، فالحقيقة أن قصة أبي دجانة مع الاستخبارات كانت سرية لا يعلمها إلا قيادات التنظيم وبعض المسئولين الذين أوكلوا بمتابعة ترتيب العمل سواء في التخطيط أو الاتصالات أو في الأمور الأخرى، وهذا مما ساهم كثيراً في نجاحها ولله الحمد.

وأنا كنت كباقي إخواني المجاهدين لا أعلم بقصته تلك إلا بعدما نفذ عمليته المشهورة، ولكن ومع هذا فقد شرفني الله سبحانه وتعالى برؤية هذا البطل والحديث معه مرات ومرات، وزاد شرفي بأن جاء في مقدمة رسالته في ليلة عمليته وهي تلك التي نُشرت مع مجلة طلائع خراسان كهدية للعدد السادس عشر والتي ذكر لي فيها أني من أغلى المجاهدين في ساحة خراسان على قلبه، فيا له من شرف عظيم ونعمة من العظيم أن جعل أمثال هؤلاء العُظماء يحبون أمثالي.

وقد سمعت كما سمع المسلمون بخبر العملية وفرحنا أيما فرح، وكبرنا وهللنا لأيامٍ متواصلة فرحة وبهجة لانتقام أحد ليوث الإسلام من أعداء الإسلام، وبعدها بيومين التقيت بالشيخ عطية الله فأخبرني أن عنده رسالة لي من صاحبي! فقلت متعجبا: ممن؟ فقال: من أبي دجانة !! وأعطاني الرسالة وقد كتب الشيخ على غلافها بخطه الحسن: (آخر كلمة.. في ليلة العملية الاستشهادية لأبي دجانة الخراساني تقبله الله) ، فاستلمتها منه وكأني أستلم كنزاً من الكنوز الثمينة، ولا غرو فهي من أبي دجانة رحمه الله، ثم في الصباح الباكر رأيت مع الشيخ بعض الأفلام والملفات الخاصة بالعملية ثم استأذنته في

أخذ صورة لأبي دجانة من فيلم اللقاء الأخير مع مؤسسة السحاب لأزين بها مجلة طلائع خراسان العدد السادس عشر.

رجالٌ صَنَعهم الإيمان

كثيرٌ ممن يقرأ بطولات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من قادة الإسلام يظن أنها مستحيلة التكرار والحدوث في زمننا وأن البطولة التي كانت في أولئك الرجال لن تكون في رجالنا الآن، وهذا مما لا شك فيه خطأ كبير، بل إن بطولات المجاهدين في هذا الزمان لخير دليلٍ على أن أرحام النساء ولدت لنا أبطالا للإسلام ممن غيروا مجرى التاريخ الحالي وكانوا سبباً في عز الإسلام وإذلال أعدائه.

وكان من بين هؤلاء العظام أسدنا همام البلوي رحمه الله –ولكلٍّ من اسمه نصيب–، فقد أثبت وبجدارة أنه من أحفاد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين فتحوا البلدان والأمصار في مدة وجيزة، يقول الذهبي: (واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى وعلى كرسي مملكة قيصر، وعلى أُمَّيْ بلادهما، وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من الذهب والحرير والرقيق فسبحان الله العظيم الفتاح) اهـ، وما هذا –بعد فضل الله– إلا عن إيمان راسخ وعقيدة ثابتة وقلب مطمئن وروح معلقة في السماء متشوقة لما عند ربها من النعيم الدائم.

وأبو دجانة من أحفاد هؤلاء العظام فهو من قبيلة "بلي" التي كان منها الكثير من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا غزوة بدر وجميع المشاهد مع نبيهم الكريم، إنها قبيلة نصرت الله ورسوله في أول الإسلام وبعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكما تجد أسماءهم في معارك النبي صلى الله عليه وسلم فستجد أسماءهم كذلك في فتوحات الصحابة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم معن بن عدي البلوي –رضي الله عنه–، والذي شهد العقبة وسائر المشاهد وقتل يوم اليمامة شهيداً، وكان له موقفاً متميزاً عند موت النبي صلى الله عليه وسلم فعندما بكى الناس على رسول الله حين مات –فداه أبي وأمي– وقالوا: (والله وددنا أنا متنا قبله ونخشى أن نفتتن بعده) ،

فقال معن بن عدي: (لكني والله ما أحب أن أموت قبله لأصدقه ميتاً كما صدقته حياً).

ومنهم أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه، روى ابن الجوزي عن جعفر بن عبدالله بن أسلم قال: (لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جُرح أبو عَقِيل؛ رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤادِه في غير مَقتل، فأخرج السهمَ ووهَن له شقّه الأيسر في أول النهار، وجُرَّ إلى الرحل. فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدي يصيح يا للأنصار! الله الله والكرّة على عدوكم.

قال عبدالله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال!. قال: قد نوَّه المنادي باسمي قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْوًا.

قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرَةً كيوم حُنين فاجتمعوا رحمكم الله جميعاً وتقدّموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوّهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعتْ إلى الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتل عدو الله مسيلمة.

قال ابن عمر فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك – بلسان ملتاث– لمن الدَبرَة.؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله. فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله. ومات يرحمه الله.

قال ابن عمر: فأخبرت عمر، بعد أن قدمت، خبره كله. فقال: رحمه الله؛ ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان – ما علمت – من خيار أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وقديم إسلامهم رضي الله عنهم.) اهـ

إذن فمن هذه القبيلة خرج صاحبنا همام، يسمع ببطولات أجداده ويتمنى أن لو يحذو حذوهم ويكون مثلهم، وها هو التاريخ قد سجل نصرتهم ومواقفهم المشرفة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا زلنا نقرأها إلى الآن ونتأثر لما فيها، وسيسجل التاريخ بطولة ابنهم همام، وكما دكوا حصون الروم من قبل فها هو أبو دجانة قد دك حصون أمريكا، وكما شاركوا في حروب الردة وفي قتال مسيلمة الكذاب وأتباعه، فها هو أبو دجانة يقتل أحد أحفاد مسيلمة ضابط الاستخبارات أبا زيد ابن عم ربيب بريطانيا عبد الله الثاني والأخير بإذن الله.

وكان أبو دجانة يفرح أنه من هذه القبيلة التي نصرت الله ورسوله في بداية الإسلام، وحتى أنه سُرَّ لما رأى ما كَتَبْتُه عن أخينا سواد التبوكي رحمه الله في أحد أعداد مجلة طلائع خراسان فقلت فيه: أبو يوسف من قبيلة (بلي) التي كتب التاريخ أن رجالها شاركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوات، وأنهم فتحوا البلدان والأمصار مع الصحابة الأبرار، وسيكتب التاريخ أن ابنها أبا يوسف كان من الذين تصدوا لأكبر حملة صليبية ضد الإسلام والمسلمين، فكان من الذين أقضوا مضاجع الصليبيين وسقوهم كؤوس الموت.

وإني لا زلت أعجب من شجاعة أبي دجانة رحمه الله ومن ذكاءه، وأعتقد في نفسي أن هذا ما كان لولا إيمانه العالي ويقينه بنصر الله تعالى ودعاؤه له بإنفاذ هذه العملية، فانظروا إليه في لقائه الأخير الذي نشر بعد العملية عبر مؤسسة السحاب كيف كان يتكلم عن العملية وكأنه يراها رأي العين، وكأنها قد وقعت أصلاً! فأسأل الله أن يرزق الأمة الإسلامية أبطالاً مثله.

يقول قرة عيوننا الشيخ أبو يحيى الليبي –حفظه الله– في معرض كلامه عن أبي دجانة: (طلبني لجلسة خاصة، وجلسنا جلسة خاصة طويلة، وبدأ يحكي لي قصته كلها، من أسره وما طلبه منه مجرمو الأردن –وكان عندي علم مسبق بالأمر– ثم ذكر لي ما هو عازم عليه، ولم تكن كيفية العملية قد اختمرت في ذهنه، فكان حديثه دائماً على

النتيجة وكأنها قد وقعت، ويقول تصور كيف ستكون ضربة مخزية لاستخبارات الأردن، ولم يكن في ذلك الوقت قد دار في خلده –فيما أظن– أن ما سيوفقه الله إليه أكبر مما طمع فيه، ولعل الله كافئه على حسن نيته وحسن ظنه بالله، وهكذا كان أيضا في لقاء آخر جمعنا به مع الشيخ مصطفى أبي اليزيد رحمه الله، فكانت طريقته هي هي أي الحديث عن النتائج المبهرة المغرية والنكاية العظيمة التي ستكون من وراء ذلك، فكأنه كان ينظر بنور من الله تعالى، فسبحان من يهب ما شاء من فضله لمن يشاء من عباده نسأل الله أن يتقبله ويجمعنا به في جنات النعيم.)

حرص والدا همام –حفظهما الله– على تربية ابنهم التربية الصالحة والتي يغلب عليها الطابع الديني، وقد نشأ هذا الشاب في بيئة دين وثقافة وأدب، فأبوه عمل مدرساً للتربية الإسلامية وللّغة العربية لسنوات، وأما أمه فتحمل دبلوم الدراسات الإسلامية وشهادة في حفظ القرآن الكريم، إضافة إلى إخوانه الذين برع كل واحد منهم في مجال معين كالعلم الشرعي والهندسة والصيدلة، يقول عنه والده: (كان أليفاً ودوداً، حسنَ

المعاشرة، متواضعاً، ليّنَ الجانب، يهبُّ لنجدة الضعيف المحتاج، يكره الظلم، ولا يضن بماله ومروءته على منْ حوله، كان يصل رحمه، يوقر والديه، يعين أسرته؛ إخوانه وأخواته على نوائب الدهر. وكان شديد الاعتداد بنفسه، جريئاً شجاعاً، إلا أنه ليس عدوانياً ولا متهوراً. لقن حجته، وسما بيانه، وتتدفق عاطفته الإيمانية جياشة إذا ما تلا كتاب الله، أو تصفح سيرة رسول الله أو حياة صحابة رسول الله، ويقول عنهم دوما: إن أصحاب رسول الله مصابيح الدجى بأيهم اقتديتم اهتديتم).

تخرج همام من الثانوية العامة بنسبة 96.5% علمي، ثم سافر إلى تركيا ليدرس فيها الطب على نفقة الحكومة الأردنية، وفي السنة الأخيرة من دراسة الطب تزوج بفتاة تركية ملتزمة تعمل كصحفية، رجع بها بعدما تخرج إلى الأردن ليكمل مشواره في التطبيب.

أجمع أهلُ أبي دجانة على أن الغزو الأمريكي للعراق كان له أثر كبير عليه، وقد قال همام أن رحلته مع الجهاد بدأت إبان هذا الغزو، فقد حاول حينها الالتحاق بساحات الجهاد هناك إلا أنه –وبحسب كلام زوجته– قد أشار عليه المنسقون أن يبقى ليجمع المال للمجاهدين وقد فعل رحمه الله، ثم وفي هذه الأثناء اهتم همام في عالم الشبكة العنكبوتية ليبث أفكاره وأشواقه ويثبت حبه وولائه للمجاهدين، واشتهر باسم "أبي دجانة الخراساني" وهذا هو الاسم الذي سنذكره به في هذا الكتاب لأنه أحب الأسماء إليه.

رحلة البيان قبل ملحمة السِّنان

بدأ بطلنا رحلته في تحريض المسلمين على الجهاد وغرس حب الجهاد والمجاهدين في قلوبهم بموضوع صغير لم يلتفت إليه الكثير ولكنه لفت انتباه أحد كبار الكتاب الذين كان صاحبنا يتابع كتاباتهم، فكتب الأخير رسالة لصاحبنا بعدما أثنى على موضوعه الجديد بدأ يحثه على الكتابة ويشجعه عليها، علاوة على أنه تم تثبيت هذا الموضوع والذي كان يتكلم عن حتمية فشل خطة بغداد بالقياس إلى معركة الفلوجة، ففرح صاحبنا من هذه الرسالة وبدأ يفكر بالكتابة بشكل أكبر، -وهذا هو دور الكتاب الكبار والقدماء في المنتديات وهو تشجيع الكتاب المبتدئين وتحفيزهم ومناقشة كتاباتهم وإعلاء هممهم، فمن يدري لعلهم يتحفوننا بأبي دجانة آخر!-، ثم بعد هذا الموضوع بدأت مقالاته المعروفة.

ولقد كان أبو دجانة رجلاً محرضاً من الطراز الأول، وإليك قوله للمتخلفين عن الجهاد:

(إننا نبحث عنكم بيننا، فإن لم نجدكم فسنظل نبحث ونبحث. سنستهدفكم من خلال إصدارتنا الإعلامية فننصب لكم الكمائن التحريضية ونزرع الألغام التشجيعية، علها تنفجر عليكم تثريباً وتذكيراً، يشغل جنانكم فكراً ويلهب قلبكم شوقاً إلى اللحاق بركب الأبطال، ولو انشغلنا بكم عن أعدائنا لانشغلنا حتى تلحقوا بنا. سنظل نبحث عنكم ونبحث كحلم جميل يراودكم تارة أو ظل مرعب يطاردكم تارة أخرى، فنكدر عليكم صفوكم وننغص عيشكم كلما ذكرناكم بخذلانكم للمجاهدين.

سنرسل لكم الرسائل المشفرة التي لا يفهم فحواها غيركم في نشرات الأخبار وصفحات الجرائد ومواقع الإنترنت، كل خبر يتكلم عنا ستقرؤونه وكأنه يتكلم عنكم، كل حديث عنا سيصبح وكأنه حديث عنكم يشكو إلى الله تخلفكم عنا، ستسمعون أسماءكم

الحقيقية وتشاهدون صوركم الشمسية خلف السطور، خلف الكلمات، خلف المشاهد، وقد أصبحتم على قائمة المطلوبين للمجاهدين، ستشعر أن المجاهدين لا يقصدون في الدنيا غيرك ولا يحرضون على القتال سواك، حتى تلحق بنا .

ستطاردك معاني الآيات الصريحة ومتون الأحاديث الصحيحة، ستلاحقك فصول سيرة ابن هشام وسطور أسد الغابة في معرفة الصحابة حتى يتخيل إليك أن عمير بن الحمام قد قتل في معركة الفلوجة أو أن أنس بن النضر قد نفذ عملية استشهادية في خوست. لن تجد طعماً لعادة من عاداتك بل لن تجد طعما لعباداتك ما دمت قاعداً عن الجهاد، سنظل نبحث عنك ونبحث حتى تلحق بنا)

بعدما انتشر صيته وبات الأعضاء يتشوقون لمقالاته، وبعدما وضحت ملامح شخصيته وعقليته من كتاباته، عرض عليه مشرفو الحسبة العمل معهم كمشرف للمنتدى، وفعلاً شاركهم في مهنة الإشراف على المواضيع والمشاركات وكان يعرف: مالك الأشجعي، وهذا أكسبه مزيد الحب للمجاهدين فقد كان نائباً عنهم في المجال الإعلامي، وقد اختلط بالمشرفين ذوي الأخلاق العالية التي قال لي أنها كأخلاق المجاهدين الذين عاشرهم لاحقاً في ساحات الحرب.

يقول عن مشرفي الحسبة: (اقترح عليَّ الإخوة الانضمام إلى قافلة الإشراف في الحسبة، والحمد لله أنني قبلت ذلك فلقد مكنني ذلك من التعرف على إخوة في الله لم أرَ مثلهم في المنتديات، لا يكاد يعرفهم أحد، ولا يشكرهم أحد، ولكنهم يحتسبون أجرهم على الله، كم كنت أستصغر نفسي وأزدري حالي بجانبهم، كنت أستغرب كيف زكوا أنفسهم وتحلوا بأخلاق المجاهدين وصفاتهم دون أن يكونوا في جبهات القتال؟ -نحسبهم كذلك والله حسيبهم-)

وفي هذا المقام أذكر كلام أحد أعمدة منتدى الحسبة:

(بالنسبة لأخينا الشهيد كما نحسبه همام فأخي الحبيب مهما ذكرت وسردت من أمور فهي لن تفِ بحقه نسأل الله أن يحشره مع الأنبياء والصديقين وأن يرزقه الفردوس آمين يا رب العالمين.. فقد ربح البيع ونال ما يبتغيه كل مسلم نسأل الله أن يلحقنا بهم مقبلين غير مدبرين.

فبداية أخي سأبدأ بالتطرق لعمله معنا فقد بدأ بالمشاركة بمعرّفه المعلوم للجميع وهو "أبو دجانة الخراساني" وقد تميز بمشاركاته وإبداعاته الكتابية والتي كانت محل اهتمام الجميع، بعدها تم التشاور مع الإخوة في الإشراف حينها بضمه معنا وكان ذلك في منتصف 2006 وتم ضمه بمعرف مالك الأشجعي، وبعد انضمامه معنا كان متحمساً كثيراً في الأمور التنظيمية والشرعية والرد على بعض الأمور الخاصة بالحسبة، وكان محبوباً لدى الإخوة المشرفين ومعروفاً بالمنطق ورجاحة العقل وفطنته في الأمور العلمية ودبلوماسيته في المحاورة مع الآخرين. فأنا شخصياً لم ألتمس منه غير الصدق والأمانة في العمل. لقد كان يفكر بإستراتيجية العمل وكيفية إيفاء هذا الدين حقه، وكان متواضعاً في تعامله مع الإخوة المشرفين ومحباً للعمل الجماعي مع إخوانه في الشبكة.. وكان يحب التحاور مع الإخوة وإيضاح ما عنده وتقبل نقدهم.

كذلك فيما يتعلق بالمواضيع التي كان يطرحها فقد كانت تلاقي استحساناً لدى الكثيرين واهتماما من قادتنا.. فكان من نخبة كتاب شبكتنا الخضراء (الحسبة) ومن أقلامها المتميزين في طرح المقالات التي تثير الحماس لدى القاعدين نسأل الله له الأجر والثواب وأن تكون أعماله شفيعة له في يوم الدين).

وأزيد على كلامه ما بثه مركز اليقين من بيان لشبكة الحسبة بمناسبة استشهاد البطل: (كان رحمه الله شعلة من النشاط والبذل والعطاء وعلى رغم قصر الفترة التي قضاها مشرفا في الخضراء إلا أنه قد ترك أثراً بارزاً فيها، فقد كان رحمه الله حريصا على استمرار عمل الشبكة وتطويرها وجعلها قبلة لكل من يبحث عن أخبار الجهاد والمجاهدين سواء كانوا مناصرين أم متربصين).

خواطر وتأنيب ضمير

وبعد أن أمضى فصلاً من رحلته الجهادية على الشبكة العنكبوتية سأل نفسه: متى تشرب كلماتي من دمائي؟ ففكر جدياً بالنفير إلى ساحات الجهاد، فهو كغيره من المسلمين الغيورين يتمنى ليلاً ونهاراً أن يصل إلى ساحات الجهاد لينتقم من أعداء الله الذين أكثروا في المسلمين القتل وساموهم سوء العذاب، ولكن الشيطان بالطبع سيكون بالمرصاد خاصة لمن هو مثله، فهو طبيب متميز يفوق أقرانه في مجاله وله مستقبل مهني واعد، إضافة إلى أنه رجل متزوج وله ابنتان، وكان عندما يوسوس له إبليس بالقعود عن سلوك هذا الطريق تأتيه صور القتلى في غزة وفي أفغانستان والعراق، فيتخيل لو أن هذه الطفلة الصغيرة التي قُتلت بصواريخ اليهود والصليبيين لو كانت ابنته ليلى.. هل سيقعد كحاله ؟

ولقد أخبرني أنه لما كان يتحدث مع أبيه –حفظه الله– عن مآسي المسلمين وجراحاتهم ويخبره عن شوقه للجهاد يقول له والده في نهاية الحديث: أنت فقط تتكلم ولن تخرج للجهاد!، فقال له همام: فإن خرجت هل سوف تتكفل بزوجتي وبناتي؟ فقال أبوه: نعم! فأسرها أبو دجانة في نفسه ولسان حاله يقول: لا حجة لي اليوم في القعود عن الجهاد، فيا خيل الله اركبي!.

وتزامن مع ذلك الوقت حدوث محرقة غزة أواخر عام 2008، فلم يطق القعود وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولم يجد طريقاً إلى الأرض المقدسة كي يجعل نحره دون نحر المسلمين المضطهدين، فقرر أن يُيَمِّمَ شطر ساحة أخرى يعد فيها نفسه ويقارع فيها أعوان اليهود، فحاول الارتباط بالشيخ عطية الله عبر الوسطاء ليسهل له الوصول إلى ساحة خراسان حيث عرين الأسود ومقبرة إخوان الخنازير والقرود، وقد كانت بينه وبين

الشيخ مراسلات خاصة تطورت إلى محبة ومودة وصحبة، فأرسل الشيخ عطية الله لأبي دجانة رسالة وبشره فيها أن لو أردت اللحاق بالمجاهدين فسنسعى لك في ذلك، فَسُرَّ بهذه الرسالة وطار فرحاً.

وفي أثناء انتظاره لطريق الجهاد كان يستعد كذلك لإجراء امتحانات طبية تتعلق باختصاصه، فرأى في المنام الشيخ أبا مصعب الزرقاوي رحمه الله وقد دخل عنده في البيت وكان وجهه منيراً كالبدر، فقال له أبو دجانة: ألست ميتاً ؟ فقال: إنني قُتلت، ولكنك كما تراني حيّاً!، وكان أبو مصعب مشغولا بإعداد عملية ما، وظن أبو دجانة أنه قد اطلع على ذنوبه وأنه ربما سيقول له الزرقاوي: لا نستنصر بمثلك، ولكنه لم يفعل، بل كان سعيداً به، فخاف أبو دجانة عليه لكونه في بيته وأراد أن يوصله إلى مكان آمن بسيارته، وتمنى أن يُقصفا معاً!.

ولطالما كان يحدثني بهذه الرؤية فأستغرب من اهتمامه بها!! يقول أبو دجانة: (لقد فتح علي هذا المنام المواجع، وذكرني بذنب القعود وأنا مقبل على دراسة المواد الطبية استعداداً للامتحان، وبعد هذا المنام أصبت بوعكة صحية قوية وأيقنت أن هذه الرؤيا لم تكن أضغاث أحلام، وطلبت تأويلها من أهل المنتديات ممن لهم معرفة بذلك ففسروها بأمرين:

١-أن الاستخبارات في بلدي ستطرق بابي.

٢-النفير في سبيل الله.

وهما ضدان جمع الله بينهما!)

إن ربي لطيف لما يشاء

وبعد هذه الرؤيا ازدادت رغبته في النفير فقرر مرة أخرى أن يذكِّر الشيخ عطية بهذه الرغبة، وبينما هو يعد نفسه للحاق بركب إخوانه المجاهدين دهم بيته مجرمو الاستخبارات الأردنية –أخزاهم الله– في الساعة الحادية عشر والنصف ليلاً وكان عددهم كبيراً –وهذه عادة مجرمي الاستخبارات؛ المداهمة ليلاً وبأعداد كبيرة إرهاباً للعوام وإفرادا لعضلاتهم الزائفة فهم يعرفون أن لا حاجة لهذا كله وأنهم يستطيعون استدعاء من يريدون باتصال هاتفي–، فاعتقلوه وأخذوا كمبيوتره الشخصي بعد تفتيش منزله، وعندما وصل إلى دائرة الاستخبارات في وادي السير واجهه ستة محققين كانوا ممن شارك في المداهمة، وأبرزهم "أبو فيصل" و "أبو زيد"، وأخبروه أنهم عرفوا أنه يريد الذهاب إلى الشيخ عطية الله!.

إذن.. من هنا بدأت القصة الفريدة! والمعركة العجيبة. رجل مؤمن شريف ذكي تتوق نفسه للنيل من أعداء الله يقابل ذكراناً مرتدين دنيئين أغبياء تتوق أنفسهم لحطام الدنيا بخدمة أعداء الله، **(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)** **(أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**.

وبدأ عبيدُ أمريكا باستجواب بطلنا أبي دجانة، وفي أثناء الاستجواب كان متردداً بين الصدع بالحق وإظهار الجلد، وبين المراوغة والإنكار والتضليل، يقول: (فاخترت الثانية حتى لا أكون صيداً ثميناً لأعداء الله دون أن أوقع فيهم نكاية، ولأن هذه الطريقة –أي الثانية– قد تبقي الباب أمامي مفتوحاً للنفير في سبيل الله)، فكان ينكر أي شيء يمكن إنكاره، ويعترف بأي شيء تيقن من أنهم يعرفونه من خلال جهازه الذي صادروه أثناء المداهمة، وكان يضيف عليها التضليل والمراوغة، يقول: (فلم أنكر أني أبو دجانة فهم

يعرفون ذلك، ولم أنكر أنني مشرف في الحسبة فلقد أخبروني بذلك، ولم أنكر رسالتي للشيخ عطية فلقد كانت مكتوبة في ملفي..وهكذا، أما أي شيء آخر فكنت أكذب عليهم وأضللهم وأكثر من الاستطراد في المعلومات العامة للحسبة التي تبعث الملل في نفوسهم!، وكنت أسعى دائما لأحفظ كذباتي عليهم حتى لا ينكشف كذبي على أعداء الله).

وانظر إلى خلقه العالي عندما يقول: (كما أن خط الإنترنت لدي هو للعمارة بأكملها، فخشيت إن أنكرت أنني أبو دجانة أن يعتقلوا المساكين للتحقيق معهم ليعرفوا من هو أبو دجانة فكان لا بد لي من أن أقر لهم بذلك).

ثم بعد هذه الاعترافات البسيطة سمحوا له بالنوم وأخبروه بأنهم سيحضرون له حاسوباً غداً حتى يدخل منه على كل إيميلاته ومعرفاته في المنتديات، ومن لطف الله كان منتدى الحسبة متوقفا عن العمل ساعتها.

يقول: (هنا زُلزلت وخشيت أن أكون سبباً في إلحاق الضرر بالمسلمين إن لم أصبر على عذابهم)، فبدأ بالتضرع إلى الله في زنزانته وطلب من ربه أن يفرج هذا الكرب وأن لا يكون سبباً في إيذاء مسلم، يقول: (وألهمني الله أدعية ما دعوت بها من قبل، وسألت الله أن يقبضني إليه إن كانت حياتي ستجلب المضرة لمسلم)، ويقول في موضع آخر: (جلست أدعو الله، ولا يمكن لقوة بشرية أن تمنع العبد من أن يتصل بربه).

نعم فسلاح الدعاء لا يمكن لأي قوة بشرية أن تسلبه من المؤمن، فالحمد لله أن جعلنا مسلمين لنا رب نناجيه في خلواتنا وإلا لطاشت عقولنا!.

يكمل أبو دجانة: (فجلست أدعو الله أن ينجيني وأن يسلم المجاهدين من أي خطر يأتي مني وأن لا أجر ضرراً على أي مسلم... وقد كنت أدعو الله: يا رب! والله أفضل أن أموت في زنزانتي على أن أكون سبباً في أن أجر ضرراً إلى مسلم) فسبحان الله! يتمنى أن يموت على أن لا يضر مسلماً بأي ضرر! ووالله إنه لأمر يدعونا للتفكر كثيراً فيه فهو درس عظيم في بيان محبة المجاهدين للمسلمين والخوف عليهم وتضحيتهم بأنفسهم على أن لا يصيبهم أي مكروه بشكل عام، وبشكل خاص نرى في هذا الموقف القلب الحاني الذي يحمله هذا الرجل، .. فلله درك يا أبا دجانة! أنظرُ إلى تفكيرك وأنظرُ في نفس الوقت إلى تفكير هؤلاء الذين اعتقلوك وأقول شتان شتان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان!.

يقول: (وجاء الفرج، فلقد شعرت بسكينة كبيرة بعد لقائي الثاني مع المحقق "أبي زيد" حيث عرض علي التعاون معهم، ولكني رفضت!، وبعد ذلك أظهرت أني أحتاج للوقت للتفكير، فمنحني فرصة للغد لأتعاون معهم من أجل الوصول إلى عطية الله وكانوا يعرفون أن الشيخ عطية رجلٌ ذكيٌ وخطيرٌ وعقلٌ مهمٌ من عقول القاعدة).

فاستخار الله بعدها في مسألة التعاون معهم من أجل النيل من الشيخ عطية الله، يقول: (فانشرح صدري لهذه الفكرة، وهي خداع أعداء الله، وكان مبتغاي هو الخروج من السجن ومن ثم الهروب بأي طريقة إلى خارج الأردن من أجل اللحاق بالمجاهدين، ولكن الله كان يقدر لي ما لم أحلم به!).

الحرب خدعة

وأثناء استراحته في هذه الليلة قرر أبو دجانة تضليلهم بقصة لا تخطر على البال، فيا ترى ما هي هذه القصة التي صدقها حمقى الاستخبارات الأردنية؟ ...

لقد نجح في إيهامهم أنه ما سلك طريق الكتابة في الانترنت إلا حباً في الشهرة وأنه ومنذ صغره كان يعاني من مرض حب الشهرة والمال، وبذلك خدعهم وأوقعهم في فخ أوردهم المهالك، فقد أوهمهم أنه يعاني بمثل ما يعانونه! فهم وبلا شك عبيد الدولار والدينار.

وكان هدفه من هذا أيضا هو أنه لم يرغب في أن ينجر إلى ما تعج به مجتمعات الاستخبارات الخبيثة والمليئة بكبائر الذنوب كالزنا وشرب الخمور، فاختار أمرين لا يمكن لعبيد الدولار والدينار اكتشافهما وفي نفس الوقت لا يبعدانه عن دائرة الالتزام بالدين؛ وهما حب الشهرة الذي هو شيء خفي في النفس لا يستطيعون معرفة وجوده من عدمه، وكذلك حب المال الذي هو شيء اعتاد عليه غالبية الناس.

ثم جاء الغد بعد أن أعطوه فرصة ليراجع نفسه ويرغبها في العمل معهم حتى لا يخسر المستقبل الزاهر الذي ينتظره إن تعامل معهم وسيفقده وبلا شك إن أبى ذلك، فأُدخل إلى غرفة التحقيق، وجاءه المحقق الأحمق "أبو زيد" فقال لأبي دجانة: أحضر لنا عطية الله ولك جائزة قدرها مليون دولار! —وهذا بعدما صدَّق أبا دجانة في ما قاله لهم عن نفسه من حبه للمال والشهرة–، ثم عرض عليه فكرة الذهاب إلى مناطق المجاهدين التي يتواجد بها الشيخ عطية الله ليتجسس عليهم ويحدد مواقعهم فيقصفها أسيادهم الأمريكان بطائراتهم بدون طيار!.

يقول أبو دجانة عن فكرة الأحمق أبي زيد ومن معه: (فالعجيب الذي لم أصدقه هو أني كنت أحاول النفير في سبيل الله ولا أستطيع، فجاء هذا الرجل الأحمق يقترح علي أن أذهب إلى ساحات الجهاد. فقد كان حلماً! الحمد لله رب العالمين أنه تحقق) ويتحدث عن غبائهم الذي أوردهم المهالك فيقول: (عجيبٌ جداً، أن تقترح على رجل آخر مقالة له قبل مدة قصيرة عنوانها "متى تشرب كلماتي من دمائي؟" رجل يتحرق للشهادة ويحرض الأمة على الجهاد، كيف تأتي أنت وبكل وقاحة تقول له اذهب وتجسس على المجاهدين؟! هذا الغباء لن تجده إلا في الاستخبارات الأردنية).

فبدأت خطة أبي دجانة في المكر بهم، فأظهر أنه متحمس لهذه الفكرة ومتلهف لهذه المليون!، فأخرجوه من السجن حتى يرتب بأسرع وقت عملية التواصل مع الشيخ عطية عبر الانترنت وذلك حتى لا يطول انقطاعه عن ساحات الانترنت فيُكشف الأمر[1]، ومن ثم يُرتَّب له الذهاب إلى مناطق المجاهدين "فيخترق بعدها القاعدة!"، وهذا يضاف إلى قائمة الغباء الذي لن تجده إلا في الاستخبارات الأردنية، فهم يظنون أن تنظيم القاعدة تنظيم رخو سهل الاختراق! ومِنْ مَنْ؟ من استخباراتهم الهشة الغبية!، وثم هيهات هيهات فكيف يظنون أن رجلاً كأبي دجانة خُلقاً وديناً –يشهد له كل من عرفه بذلك– قد ملأ مقالاته وكتاباته بحب القاعدة فكيف إذن يتجسس عليها ويخونها؟ فنظرة واحدة إلى عناوين مقالات أبي دجانة تخبرك أنه من المستحيل أن يتم لهم هذا الأمر! ولكنه الغباء ولكنها الاستخبارات الأردنية!.. يقول أبو دجانة: (سَجّلْ يا تاريخ، ومن قبله كاتبُ اليمين، أنني رأيت الحق في منهج تنظيم القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن) ويقول عن القاعدة: (أرقى تنظيم روحاني، لا يرتبط أعضاؤه بأوراق رسمية ولا

[1] - يكشف الأمر لمعارف أبي دجانة في الانترنت، وإلا فأي شخص تتم مداهمة بيته بالطريقة الشنيعة التي حصلت لأبي دجانة سيكون أمر المداهمة هذا مشهورا بين الناس، ولكن الناس من حوله لا يعرفونه بكنيته في الانترنت "أبي دجانة الخراساني"، وإنما يعرفونه باسمه الحقيقي "همام البلوي"، وهذه من صفات رجال الإعلام الجهادي الناجحين الذين يعملون بصدق وخفاء مع الله سبحانه وتعالى، فهم لا يظهرون لمن حولهم من الناس أسماءهم الحركية في الانترنت، ولا يخبرون أصحابهم في الانترنت بأسمائهم الحقيقية.

هويّات، بل بالكتاب والسنة، لا تجد بينهم غير عهد على نصرة الإسلام، يحفظونه في سويداء قلوبهم، واسمه البيعة، القاعدة هي أرقُّ وأحلى بسمة ترتسم على شفتي استشهاديٍ قطع البحار والقفار ثأراً للأمة، يزفون شهيدهم بالورود والدعاء، وبدمعات رقراقة تقطر وفاء وإخلاصا وثناء، هي عائلة كبيرة، لا ...بل صغيرة بالرغم من كثرة أفرادها، ولو عطس أحدهم في قندهار لقال له من في الأنبار يرحمك الله)، ويخاطبها قائلاً: (أقول لك يا قاعدة الرباط والجهاد، يا قاعدة الفِداء والاستشهاد:

يا عزم الكماة ونخوة النجباءِ *** مرعى المروءة موئِل الشرفاءِ

أمّ الفداء عرين كل مُصاولٍ *** رحم البطولة بيرق الشهداءِ

فدتك نفسي يا أمل المسلمين ورايتهم، فدتكِ نفسي يا ثأر المستضعفين وغايتهم، فداك نفسي يا شيخنا أسامة، وفداك نفسي يا حكيمنا أيمن، وكان نحري دون نحركما وصدري درعٌ على صدركما، ووالله لأن يُعقر جوادي ويُراق دمي لأحب إليّ من أن يُشاك إمامنا الشيخ أسامة أو حبيبنا الشيخ أيمن بشوكة تُدمي أخمص قدم أحدهما وأنا سالمٌ في مالي وأهلي، ونعاهد الله أن لا يخلص إليكم أعداؤكم وفينا عينٌ تطرُف ومن دونكم وما يريدون قطع أعناقنا وتطاير أشلائنا وما هو أدنى من ذلك وأمرّ، والله خيرٌ حافظًا)

ولقد درسنا في أبجديات علم الأمن والاستخبارات أنه لا بد من معرفة نفسية العميل ودراسة شخصيته قبل تجنيده واستخدامه في العمالة لأي جهاز استخباراتي، ولا أدري كيف غاب هذا الأمر عن استخبارات الأردن وهم الذين يدعون أنهم من أقوى استخبارات العالم وأفضلها في مكافحة الإرهاب!، خاصة وأن دراسة شخصية أبي

دجانة متوفرة بشكل كبير من خلال ما يكتبه من مقالات وقعها بكنيته المشهورة، فلقد كانت كتاباته تشير إلى رجل مولع بالجهاد والمجاهدين بدرجة كبيرة جداً مما أدى إلى أنها تخرج وكأنها شيء جديد فريد! بطعم لم نتذوقه من قبل في أدبيات المجاهدين إلا نادراً، فهذه الكتابات لا يمكن أن تخرج إلا من رجل صاحب مبادئ لا يحيد عنها، وكذا كان رحمه الله، حتى أن مروره عبر نقطة التفتيش يذكره بحب الجهاد وألم التخلف عن سلوك طريقه!.. يقول: (حين يستوقفني رجال الأمن في بلدي ضمن تفتيشٍ روتيني، ينظرون إلى هويتي الشخصية ...ثم إلى وجهي ... ثم إلى هويتي مرة أخرى ...ثم يسمحون لي بالمغادرة، أَبْحثُ في أعينهم عن تهمة لي ... ولكني لا أجد، يُحرر لي الرقيب شهادة حسن "عُبودية" ثم يَأمرني بالانصراف، فأنا مـن وجهة نظره لست إلا حجرة مصطفة في أهرامات المذلة ولا يجب المساس بِها! صَدقوني إنها لحظة ذل ومهانة تمر علي كدُهـور، أغادر وأنا أشعر بانكسار لا يشعر به أي معتقل يرسل إلى الزنزانة وهو يهتف ملأ فيه : "الله مَولانا و لا مَـولى لكم ").

لا أدري هل قرأ رجال الاستخبارات الأمريكية والأردنية هذه السطور قبل أن يفكروا في خيانة هذا الرجل لعقيدته؟. يقول أبو دجانة: (لطالما تراءت لي " الكلبشَات " على أنها أساور من فضة، ولطالما رأيت حبل المشنقة كوسام شرف، لطالما نظرت إلى الزنزانة كمحراب، ولطالما ادعيت أن الأَسر ليس إلا سلماً للدَّرجات العلى في الجنة، ولكنني مازلت في فرار ... وما زلت أفضل أن تضرب الأقفال على وجداني لا على جسدي... **فلقد انطلت علي كذبة مُجتمعي حينما ادَّعوا أن الشيخ ناصر الفهد أسير وأبو دجانة الخراساني حرُ**... لا أدري إلى متى سأبقى فارا من وجه الحرية ...كمتشرد يتسكع بين أرصفة الكيبورد الباردة، هناك قيم عليا تشرئب لها أعناق "طلاب الحرية" ولكن لا ينجح إلا بعضهم في الوصول إليها ...).

ولا أدري هل قرأوا هذا الكلام الذي تسيل مع قراءته قطرات الدمع؟؛ يقول الأسد: (وأذكر أنني كنت أحزن عندما يصيبني مرض أو نصب وأقول لنفسي: ليته كان في سبيل الله –أعني الجهاد–، فوالله لا أكاد أتوقف يوماً عن التفكير في حال المجاهدين وما يقاسون في سبيل الله من مشقات جسام، بل إن هناك سؤالاً آخر أسأله لنفسي حين أُصاب بمرض فأقول: هل ترضى أن يذهب عنك ما تعاني في بدنك ويصيب الشيخ أسامة أو الظواهِري أو أبا عمر البغدادي ما تعانيه؟ فأجيب: لا والله، لا أقبل أن يذهب عني ما أعاني ويصاب أسامة أو أي من قادة المجاهدين وجنودهم بشوكة واحدة، فأشعر بفرحة ونشوة تخفف عني مصابي ومعاناتي، بل إنني أقترح على كل من يقرأ هذه السطور من أنصار المجاهدين، إن أصابه في بدنه ما يكرهه –نسأل الله لنا و لكم العافية في الدين و البدن– فليسأل نفسه: هل ترضى أن يذهب عنك ما تعاني و يصيب أياً من قادة الجهاد أو جنودهم؟ فوالله سيجد لذة المحبة في الله كامنة في جوابه، فيعلم أن في هذه الدنيا من هم أغلى على نفسه منها، فتهون مصيبته ويخف مصابه ، ويتصبر على ما هو فيه) .

ولا أدري هل تفكروا قليلاً في الكنية التي اختارها شهيدنا واشتهر بها "أبو دجانة" ؟ ألم يخترها بسبب حبه للتضحية والفداء وقتال أعداء الإله كما كان أبو دجانة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم أتبع هذه الكنية بـ"الخراساني" ليحدد انتماءه ومحبته للمجاهدين في خراسان ؟......

يا قوم! أنتم في واد وأنا في واد

عندما مرت ثلاثة أيام على الاعتقال وعند خروجه من السجن وعَدَه الأحمق أبو زيد بمبلغ هائل ودعم لا محدود ووعود كثيرة منها مبالغ طائلة –غير مبلغ قتل الشيخ عطية الله– ودخوله إلى مجلس الأعيان، وأن يجعلوه من أفضل أطباء الأردن!، وكذلك أن يحظى بمقابلة الملك الحقير عبد الله الثاني!!

خرج أبو دجانة من سجن الاستخبارات وبدأت عملية التواصل معهم عبر المحقق أبي زيد مع إطلاع بعض ضباط الاستخبارات على ما يجري من مستجدات، وهم: "أبو فيصل وأبو هيثم وعلي برجاق –مدير مكافحة الإرهاب–، ومحمود الرقاد –مدير الاستخبارات العامة–" وكان يقول له أن هؤلاء فقط من يعرف بالأمر إضافة إلى ملك الأردن عبد الله الثاني، وبعد الأيام اتضح لأبي دجانة أن الأحمق أبا زيد يعمل في كتيبة تسمَّى "فرسان الحق" الموكلة بالعمليات الخارجية لمحاربة "الإرهاب" أي الإسلام وخاصة تنظيم القاعدة.

وفي في هذه الأثناء كان أبو دجانة يحاول الوصول بأسرع وقت إلى طريقة يتواصل بها مع الشيخ عطية الله باستخدام برامج خاصة في التخفي عبر الانترنت حتى يتخلص من قبضتهم وينجو بدينه من هؤلاء الأرذال، فقد حاولوا استمالته بكل الطرق، وكانوا ينفقون عليه مئات الدنانير في مراكز التسوق وغيرها، يقول أبو دجانة: (وكانوا يستخدمون معي الوسائل التالية لضمان ولائي:

١–عرض الأموال الطائلة في حال نجاحي في المهمة، وراتب وجاه ومنعة ولقاء الملك شخصياً.

٢–ترهيبي من محاولة الفرار هناك أو ميلي عاطفياً نحو المجاهدين، وكان يقول لي الأحمق أبو زيد أنهم يستطيعون إحضاري من أي مكان في العالم –كذبوا وخسئوا–.

٣–استخدام أرق العبارات كأخي، شقيقي.

٤– ومحاولة الإكثار من التحدث معي وتناول الطعام معي في أفخم المطاعم.

٥–طلب مني التعاون في تزويده بإصدارات المجاهدين وتحليلها، ولقد قمت بذلك مع تضليله وخداعه).

وهذه الأساليب قد تميل قلب الشخص المتزعزع إلى جانبهم، ولكن أنّى لمثل أبي دجانة أن يكون ذاك الرجل المتزعزع؟ فقد أثبت أبو دجانة أمام هذه المغريات والفتن أنه ما سلك طريق الجهاد إلا عن يقين صادق وإيمان جازم، وأنه ما كتب مقالاته في نصرة الجهاد والمجاهدين إلا عن استعداد للتضحية والفداء، فلله دره صدق الأقوال بالفعال.

سَلِمتْ يدُ الضِّرْغامِ مَا لانتْ قنَا ... ةُ فُؤَادِهِ أَبَداً وَلَمْ يتْبعْــــهُمُ

إنَّ الَّذي يسْعى ليُرضخ ضَيْغَماً ... فكأنَّمَا هو في منــامٍ يَحْلُـمُ

وإذا الْبهائمُ في الأكُفِّ لجامُــها ... فالأُسْدُ تحكمُ غيرها لا تلجَمُ

خُدِعوا بداهيةٍ يَعِزُّ نظيرها ... لَوْلا صَرَامَةُ دينِهِ لَتَحــكَّمُواْ

رُجمُواْ بشُهْبٍ فَحَمتْ أجْسادَهُم ... وكَأَنَّهُ البُرْكَانُ إذ هو يهجمُ

تبّتْ يدَا بَاغٍ تَسَلَّلَ كَيْــدُهُ ... يبْغي الكِرامَ فَبئْسَ مَا يَتَوهَّــمُ

رامَ الْخِيانةَ من أمينٍ مخْلصٍ مَنْ رامَ للسَّمعِ اسْتِرَاقاً يُرْجَمُ

تعساً لمن في الغدْر غاصَ يظُنُّهُ دُرّاً فلاقى أصدفاً لا تُفصمُ

منْ ظَنَّ أنَّ الأُسْدَ تفْرِسُ مِثْلَها فكأنَّما يرْجو الْمُحَالَ فَيَسْأَمُ

منْ ظنَّ أنَّ النَّجْمَ يُمْكنُ لمسُهُ طلب العسير وهل هنالك سُلَّمُ[٢]

[٢] - الأبيات المذكورة في الكتاب هي لشاعرنا أبي عصام الأندلسي –حفظه الله-.

وما توفيقي إلا بالله

لعلكم تتساءلون الآن.. كيف استطاع أبو دجانة أن يقنع هؤلاء الأذناب بأنه معهم في خطتهم لدرجة أنهم اطمئنوا إليه إلى هذه الدرجة العجيبة؟

يقول أبو دجانة:

(كانت سياستي في التعامل مع أعداء الله:

١- إظهار أني مادي برغماتي، وكنت أُكثر من السؤال عن المال وبقية التفاصيل، وأحياناً كان يضج –أي الأحمق أبو زيد– من كثرة أسئلتي وإلحاحي.

٢- إظهار أن تنظيم القاعدة خوارج، وأن حربهم هي من الدين.

٣- حصرهم بالوقت، حتى لا أنكشف أمام أعداء الله، فكانت الرسائل الوهمية التي استقبلتها من عطية الله تصر على التحاقي بمدينة بيشاور في أسرع وقت![٣].

٤- محاولة إظهار نفسي بأني عاشق شهرة ونرجسي وأحب أن أدخل التاريخ من خلال حرب القاعدة.

٥- إظهار بعض التردد أحياناً لخوفي على حياتي فيقتنعوا أني طالب دنيا.

٦- كثرة الإطراء على أعداء الله –المحققين معه– واحد تلو الآخر، والحمد لله أنهم كانوا لا يصمدون كثيراً أمامه –أي الإطراء–، فكلما مدحت أحدهم ازداد حبه لي، وربما أخبرني بمعلومات إضافية عن طبيعة عمله، وهذا من كيد الله لي) .

[٣] - فقد كان يوهمهم بأنه قد وصلته رسائل من الشيخ عطية تحثه على المجيء في أسرع وقت، وكذلك ضللهم باختيار مدينة بيشاور والتي لا يستعملها المجاهدون في تنقلاتهم الخاصة واستقبالهم لأفرادهم الجدد.

وبعد استعراض هذه الطرق التي خدع بها أبو دجانة أعداء الله أقول لنعيد التأمل في النقطتين رقم ٢ و ٤، ولنعرف حجم عداء الاستخبارات لتنظيم القاعدة، وحجم محبة أعداء الله لمن يكره التنظيم ويطعن به ويكيد له!.

يقول أبو دجانة: أنه على قدر جهدك في محاربة القاعدة تنل مالاً وجاهاً وحظوةً، وأن عملية استهداف عطية الله أو أي شخص قيادي في القاعدة -مثل الشيخ منصور الشامي "محمود آل زيدان" رحمه الله- تعتبر مغامرة تستحق المجازفة من أجل تحقيق الأحلام في المنصب والمال.

ونلاحظ كذلك من سياسة تعامل أبي دجانة معهم أنه كان لا يتعامل معهم على أنه ترك التزامه ودينه وأصبح فاسدا مثلهم!، وإنما كان يظهر لهم أن حرب القاعدة هي من الدين ولذلك أنا أقوم به!، وكان هذا التعامل له سببان:

الأول: حتى لا يشك به الاستخبارات إذا انسلخ من دينه كاملاً.

والثاني: حتى لا يقع أبو دجانة بكبائر الذنوب التي كانت من عادات الاستخبارات أعداء الله مثل الزنا وشرب الخمر وغيرها، حتى أن أبا زيد لما رأى تعامل أبي دجانة هذا صار يظهر بعض التدين كي يتحبب ويتقرب لأبي دجانة.

يا خيل الله اركبي!!

بعد شهرين من التعاون المختلق بين أبي دجانة والاستخبارات الأردنية، وفَّق الله أبا دجانة إلى النفير إلى ساحات الجهاد، وأبو دجانة يعمل كطبيب في منظمة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين، وتلقى دعوةً لحضور مؤتمر صحفي في باكستان، مع تسهيل الاستخبارات الأردنية لإجراءات السفر مثل إعطاء الأموال الطائلة وإصدار فيزا السفر، فقد وصل إلى أراضي المجاهدين من غير عناء ولا تكليف بعكس باقي المجاهدين، وعند وصوله إلى بيشاور حاول أن يرتبط بالإخوة المجاهدين عبر الوسطاء حتى يصل إليهم، وبالفعل وصل لإخوانه المجاهدين الذين طالما تمنى اللحاق بركبهم ومشاركتهم جهاد أعداء الله.

يقول الأخ الوسيط بين أبي دجانة وبين المجاهدين والذي قد ساعد في وصوله لنا: (وأذكر أنه عندما راسلني أخي الشهيد يبلغني برغبته بالنفير فحدثته عن صدق النية ووضعه فأبلغني أنه سيسافر كما أذكر بتأشيرة لباكستان فطلبت منه الانتظار قليلاً والصبر حتى أراسل الشيخ عطية الله فمررت رسائلي وكنت في اليوم الواحد نتراسل بالساعات وكنا ننتظر الرد من قائدنا في أقرب وقت وفي حديثنا أخبرني أنه إذا لم يصل أي رد فهو لن يرجع أبداً حتى لو اضطر لشق طريقه بنفسه بين الجبال بحثاً عن المجاهدين.. فحدث بعد ذلك أن انتقل وسافر إلى باكستان وأبلغني عند وصوله وحدثني أنه وصل لباكستان وأبلغني أنه ينتظر الجواب ولا يملك الوقت وكان كل أملي أن تصل رسائلي للشيخ ويرتب له الإخوة، وكنت أدعو الله عز وجل بهذا، وبعدها أخبرني بعد فترة أنه تيسر له الطريق.

أذكر ساعتها كم بكيت من فرحي وهو يودعني فوالله أحسست ساعتها بفرحة غامرة فسبحان الله الميسر لعبده الكريم).

وقبل وصوله إلى مناطق المجاهدين تخلص من سماعة طبية أعطوه إياها الاستخبارات الأردنية خوفاً من أن تحمل أدوات تجسسية، وفور وصوله أخبر الشيخ عطية الله بكل تفاصيل الاعتقال التي حدثت. والكلام الذي اقتبسنا بعضه في الأعلى كان جزءا من هذه الرسالة الأولى التي أرسلها أبو دجانة للشيخ حتى يعلمه بكل ما حصل معه، وبعدها اقترح عليه بعض الخطط.

جاءنا أبو دجانة فسعدنا بوجوده بيننا، فإضافة إلى أنه كاتب مميز يستمتع حتى استخبارات الأردن بمقالاته –كما ذكر لي عنهم– فقد كان أيضا طبيباً متميزاً، وما أحوج المجاهدين إلى الطبيب المجاهد الذي يخفف عليهم عناء جراحات الجهاد ومشقته.

سعِدتْ مطَالعُنا بأَنْدَى وافِـدٍ   أمْسى يُمَزِّقُ في الْعِدَى ويُخَـرِّمُ

ذَاك النَّـدِيُّ هو الْهزبْرُ أبوا دُجـا   نةَ قدْ سَما فخراً وعِزّاً ينْجُـــمُ

بين شِعَب الجبال ورفقة الرجال

عرف المجاهدون أبا دجانة وأحبوه لما رأوا منه من خصال طيبة وقد رأيت منها الكثير، ولكني حرصت على أن آخذ أخباره من الأخ تاج الحجازي كي يحدثنا عنه، فقد رافق شهيدنا لثمانية أشهر متواصلة، وكان من الأصحاب المقربين عند أبي دجانة، وأول ما يذكر تاجٌ عنه أنه كان صاحب قيام لليل حريصاً على هذه العبادة العظيمة التي تنير الوجوه وتصقل القلوب، هذه العبادة لا يداوم عليها إلا المتقون، ولا يُحرم منها إلا العاصون والمقصرون، وقد كان أبو دجانة يصلي التهجد من الساعة الواحدة والنصف ليلاً، وكان يحث على الحرص على أن تكون صلاة التهجد في الثلث الأخير من الليل حيث ينزل الرحمن سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا كما في الحديث، بل وكان يحرص على أن تكون نوبة حراسته في هذا الوقت كي يستثمره بالذكر والاستغفار والتفكر في عظمة الله سبحانه حتى أنه يقول أن النوبة تنتهي ولا يشعر بها، وكان يجعل أول ركعتين له شكراً لله عز وجل على أن وفقه لعبادة قيام الليل.

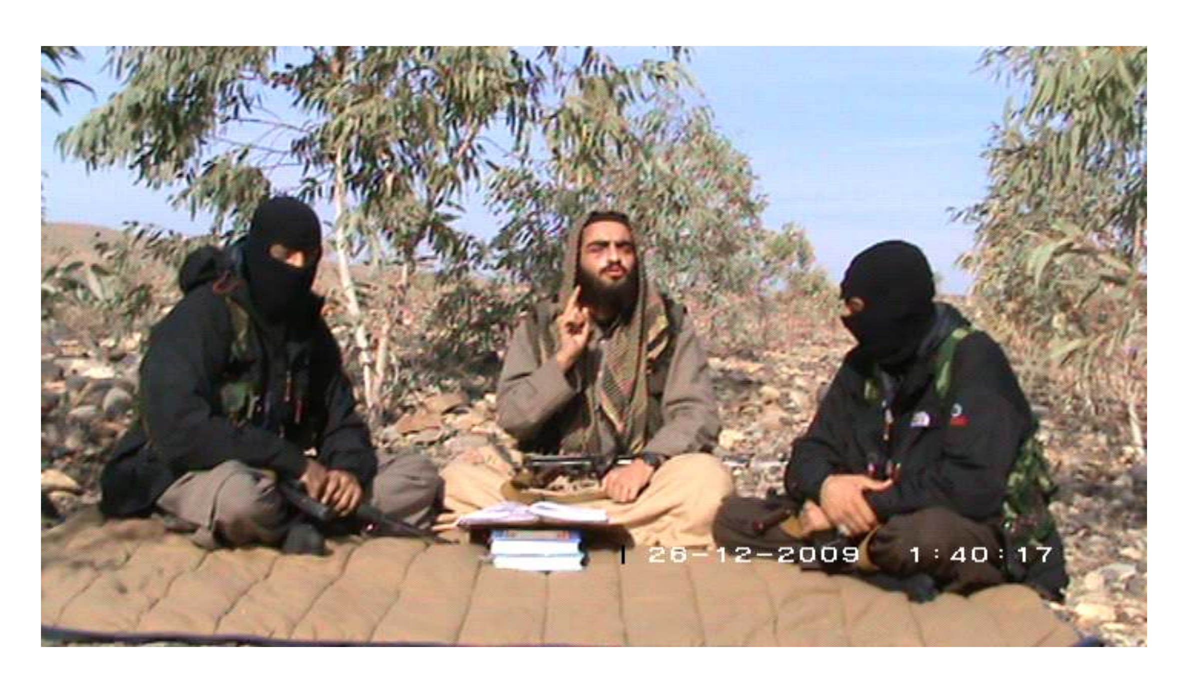
خدمة المجاهدين لا تجدها إلا عند أصحاب النفوس الكبيرة، يقول الأخ تاج: (لقد كان أبو دجانة رحمه الله يزعل علي إذا غسلت الصحون حتى أنه أخذ علي عهداً أن لا أغسلها ما دام هو موجوداً، وكان إذا مرض أحد الإخوة يسهر عليه الليل كله ويخدمه في التطبيب وفي تجهيز الطعام وغيره)، ويقول عنه أحد أصحابه: (ترى حب الخدمة والعمل في سبيل الله عند الأطباء الذين هاجروا إلى ساحات الجهاد وقدموا حياتهم رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله، حيث يتجرد الأطباء المجاهدون من دنيا الدنايا ويترفعون عنها، وقد حدث ذات يوم قصف لطائرات المرتدين على قرى عوام المسلمين، فلما علم أبو دجانة بذلك حزن حزنا شديدا على أنه لا يستطيع الوصول إليهم، فاغتم

لحال المسلمين الذين هم بحاجة إلى من يغيثهم ويمسح على جراحاتهم ويخفف من آلامهم، وقد حدث كذلك في إحدى دوراتنا العسكرية أنه مرض اثنان من الإخوة بمرض الملاريا والصفرة، وأصيب آخر في ساقه، وآخر كان يشتكي من آلام الظهر، فكان لأبي دجانة خيمة أسميناها خيمة المرضى، وكان يشرف فيها على المرضى ويخدمهم).

وأما طيبة القلب وخفض الجناح للمؤمنين فقد ذكر لي الأخ الزبير المدني أنه وأبا دجانة تجادلا في الكلام وحصل نقاش اتجه للحدة ثم أحس الزبير بأن أبا دجانة زعل منه، فيقول: كنت أصارع نفسي في أن أذهب وأعتذر له، وهو في هذه الحالة من مصارعة النفس إذا بأبي دجانة يأتيه ويعتذر منه ويطلب الصفح عما صار في الأمس.

مراسلات مستمرة وطعوم مغرية

لم يفكر أبو دجانة في قطع علاقته مع الاستخبارات الأردنية عندما وصل لإخوانه المجاهدين فقد كان بمأمن عند إخوانه، ولكنه قرر الانتقام من أعداء الله ورد الصاع لهم صاعين، وإنما قطع علاقته بداية لمدة أربع أشهر بالاستخبارات لغرض تكتيكي، ثم عين القادة أخوين شقيقين لمرافقة أبي دجانة ومعاونته.



أبو دجانة الخراساني، مع معاونَيْه الشقيقين أبي عمر وموسى البريطانييْن رحمهم الله جميعاً

لقد كان يقول له الأحمق أبو زيد في هذه الفترة:

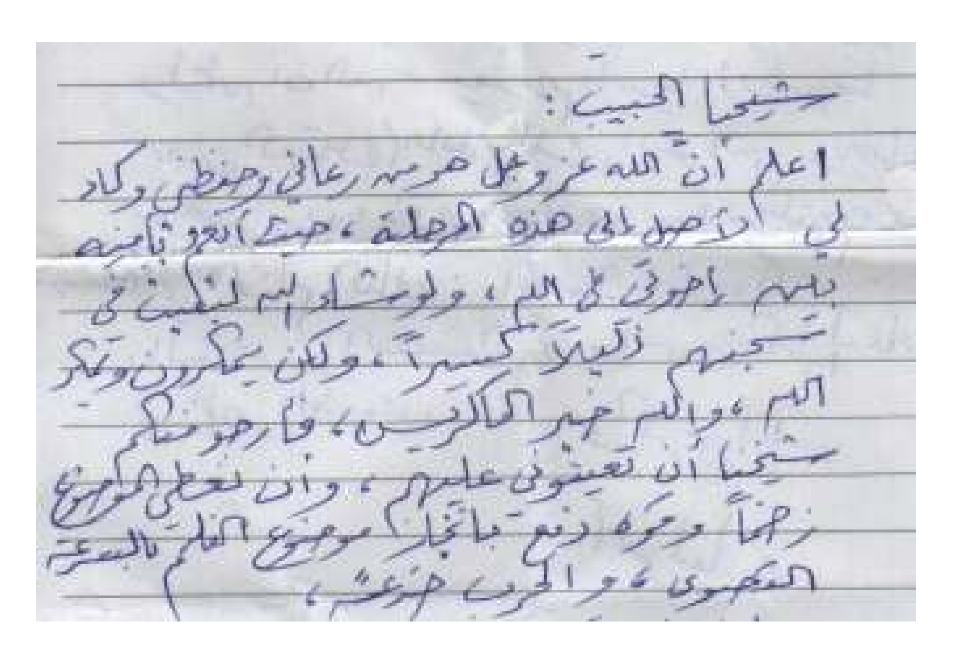
- لا تخف من الأمريكان إذا قبضوا عليك، فنحن إذا قلنا لهم ارفعوا يدكم عنه فسيفعلون!.
- "إذا تقطعت بك السبل لأي سبب ما، فعندنا القدرة لالتقاطك من أي مكان عن طريق الجو"، وهذا من أجل أن يطمئنوا أي عميل لهم وكذبوا وخسئوا!.
- "إذا استطعت الوصول لأي قاعدة أمريكية لغاية الهروب فافعل –بعد إتمام المهمة-.

وقبل أن يلهم الله أبا دجانة خطة العملية الأخيرة كان يود أن يقوم بعمليات أخرى بالتعاون مع المجاهدين منها استدراج ضابط الاستخبارات أبي زيد إلى منطقة قريبة من

المجاهدين بحجة إعطاء المال أو استلام أدوات تجسس ومن ثم أسره وأخذه إلى مناطق المجاهدين، وبالفعل بدأ الإخوة بترتيب هذه العملية، يقول الأخ موسى البريطاني: (كنّا نجلس مع بعض ونفكر في استغلال الفرص، فأذكره باكياً في الليل وهو واقف أمام الله يستهديه ويستجديه أن يسدّد أفكارنا وأعمالنا ولم نعلم في ذلك الوقت ما ينتظره من خير في ذات غد، فتوصلنا إلى عدّة خطط منها دعوة المرتدّين الأردنيّين إلى باكستان واختطاف أبي زيد لفديته بإخواننا وأخواتنا المأسورين في أيادي الكفّار) وفعلاً تم استدراج الخبيث أبي زيد بالرغم من تخوفه الشديد من الاقتراب من مناطق المجاهدين فقد كان يصر على أن يكون اللقاء إما في تركيا أو في العاصمة الباكستانية إسلام أباد، ولكن أبا دجانة أرغمه على أن يأتي إلى المكان الذي قررت القيادة اختطافه منه، ثم حصلت بعض الصعوبات في ترتيب هذه الخطة فقال الأخ المسئول عن تنفيذها لأبي دجانة أن العملية قد تحتاج إلى أخ استشهادي، فقال له أبو دجانة: إذن فأكون أنا الاستشهادي!.. ثم حالت الحوائل بين إكمال هذه العملية، وأخبره أبو دجانة بعدها بأنه لا يستطيع القدوم لذلك المكان بسبب الخوف من شك المجاهدين فيه، ولم يكن أحد يعرف وقتها ماذا كان يخبئ لهم قدر الله!، وصدق الله القائل: (**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) فعدم إكمال هذه العملية كان خيراً بأن حدثت بعدها عملية قتلت هذا الخبيث ومعه بضعة من أسياده في الاستخبارات الأمريكية.

ثم استمرت العلاقة على ما كانت عليه، وخلال الفترة التي كان يعيشها أبو دجانة بين إخوانه المجاهدين، قام المجاهدون بعمل عدة أمور ضللوا فيها الاستخبارات الأردنية من أجل أن تزيد ثقتهم بأبي دجانة فساهموا بذلك في إنجاح العملية الأخيرة، ومن هذه

الأمور تصوير مرئي يجمع بين أبي دجانة وقادة القاعدة وهم يتحدثون بعفوية ثم يرسل أبو دجانة هذا التصوير لهم حتى يعرفوا أنه وصل إلى قيادات القاعدة!.


شيخنا الحبيب:
اعلم أن الله عز وجل برحمته رعاني وحفظني وكاد
لي لأصل إلى هذه المرحلة، حيث ... بأمنيه
بينهم لأموري في الله، ولو شاء الله لتكشفني في
تجنيدهم ذليلاً كسيراً، ولكن يمكرون ويمكر
الله، والله خير الماكرين، فأرجو منكم
شيخنا أن تعينوني عليهم، وأن تعطي الموضوع
زخماً ... دفع باتجاه موضوع الفلم بالسرعة
القصوى، والحرب خدعة،

(رسالة من أبي دجانة إلى الشيخ عطية الله بخصوص تصوير فيلم يجمع بينه وبين القادة)

كذلك بعدما ألح الأمريكان على الاستخبارات الأردنية بأن يتم استهداف الأخ الشهيد –كما نحسبه– صالح الصومالي رحمه الله ألحوا هم بدورهم على أبي دجانة، وبعد تشاوره مع القيادة قرروا أن يجهزوا بيتاً خالياً بعيداً عن البيوت المأهولة ويتم إعطاء الاستخبارات إحداثيات المكان بحجة أنه مركز يستعمله صالح الصومالي، فطاروا فرحاً بالإحداثيات التي أعطاهم إياها، وفعلا جاءت الطيارات الجاسوسية تحوم فوق المكان، ومن ثم لم يجدوا بغيتهم إذ إن المكان كان خالياً ولم تأته أي سيارة، فأخبرهم أبو دجانة بعد ذلك بأن الصومالي غيّر مركزه قريبا! .. ومع خيبتهم هذه إلا أنه زادت ثقتهم به لأنه بدأ بالخطوات العملية وبدأ باختراق القاعدة على ظنهم ولصدقه في دقة وصفه للمكان الذي حاموا فوقه لساعات.

وهكذا كان في كل فترة يرسل لهم بعض الأمور التي تزيد ثقتهم به بترتيب مع قيادة المجاهدين، مثل تسريب بعض الأخبار الداخلية الحقيقية العادية التي لا تضر بأي أحد، وكان لا بد من وجود طعن في تنظيم القاعدة بين هذه الرسائل، يقول أبو دجانة: (ولا بد أن أتكلم بسوء عن قيادات التنظيم وأن بينهم تنافسا حتى يقتنعوا أنني أصبحت أنظر إلى التنظيم بعيوبهم....ونظرتي السلبية للتنظيم ستثبت لهم أنني لم أكوّن أي رابط عاطفي مع التنظيم، وأنني أشاطر هؤلاء المجرمين وجهة نظرهم أن التنظيم "قطّاع طرق" و"مجرمون" وأنهم يتنافسون فيما بينهم). وكانوا يفرحون أيما فرح بمثل هذه الأخبار ويقول له أبو زيد في رسائله عبر البريد الالكتروني: "رفعت رؤوسنا عند الأمريكان ونحن فخورون بك" ومن المضحك أنه كان يناديه بـ"يا أسد الإسلام!".

ويبدو أن الأمريكان والأردنيين اطمئنوا كثيرا لأبي دجانة بعد تلك الأخبار والأفلام التي سربها ورأوا أنها دليل واضح على قرب أبي دجانة من قيادة تنظيم القاعدة، يقول روبرت جرنيه[٤]: (يبدو أن هذا الشخص المسمى البلوي كان يحظى بقدر من الثقة بحيث قدم معلومات في الماضي والذي جعلهم يعتقدون أنه شخص موثوق به وكانت هذه قناعتهم)

ومن بين الرؤى التي استبشر بها أبو دجانة خيراً كانت تلك الرؤيا التي رآها والده في منامه يوم وصول ابنه إلى باكستان مع عدم علمه بنفيره إلى الجهاد، فلقد رأى لأول مرة في حياته رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرج أبوه منديلاً أبيض وأعطاه للرسول صلى الله عليه وسلم فمسح به وجهه الشريف...يقول أبو دجانة معلقاً على هذه الرؤيا: (فلم أتمالك نفسي من البكاء عندما بلغني ذلك، والله أظنها غزوة من نور الله).

[٤] - روبرت جرنيه الرئيس السابق لمركز مكافحة الإرهاب في وكالة المخابرات المركزية الأميركية CIA ومدير وحدة الـ CIA في كل من أفغانستان وباكستان والعراق بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٠ كما قاد بعد أحداث ١١ سبتمبر عمليات ميدانية للـ CIA ضد تنظيم القاعدة.

صيدٌ ثمينٌ ولكن فيه الحتف

أخبر أبو دجانة أبا زيد الأحمق بأن أميرنا الحبيب الشيخ أيمن الظواهري طلب منه أن يعالجه ويرسل له دواءً معيناً، ففرح أيما فرح ووصفه أبو دجانة بالرجل السكران من شدة الفرح!، وأسرع –لحمقه وغبائه إلى أسياده الأمريكان ليبشرهم باقتراب موعد اغتيال الشيخ الظواهري!، ولعله بشر الأمريكان قبل مخابرات الأردن بهذه العملية فلم يكن يريد وقتها أن يسبقه أحد لأسياده الأمريكان!، وأخذ يشرح لهم نجاحهم في "احتراق القاعدة" ورغَّبهم بلقاء هذا العميل الذي سيحقق لهم ما لم يحققوه طوال حربهم على "الإرهاب"!، فشارك الأمريكان عبدهم الغباء والحماقة، ولعلهم كانوا يريدون الإسراع في لقاء أبي دجانة حتى يكون مقتل الشيخ الظواهري هدية للصليبيين في عيدهم رأس السنة الميلادية، ولكن كانت رؤوسهم هدية للمسلمين ولله الحمد والمنة!، وقد نقلت صحيفة نيويورك تايمز عن مسئول أمريكي سابق قوله: فقد نقلت عن مسؤول سابق قوله (إن

أولوية (CIA) هي معرفة مكان الظواهري أو بن لادن، وجميع العاملين في الوكالة يلهثون ليكونوا ضمن فريق القبض عليهما، باعتبار أن ذلك هو الذي يؤدي إلى الترقية في الوظائف).

الاستخبارات الأمريكية وربيبتها الأردنية صدَّقت أن أبا دجانة الخراساني يريد قتل الشيخ أيمن الظواهري، وربما أنها لم تقرأ جيداً أو لم تقرأ بالكلية ما قاله ذاك عن ذاك!، يقول أبو دجانة: (لو قلت عن الظواهري بحر العلوم، حجة الإسلام، بدر الزمان فوالله ما بالغت، عندما أقرا لهذا الإمام أعد حروف ما يكتب عداً ، لأني أعلم أن كل كلمة أو حتى حرف يخرج من ذلك "الأمَّة" يعني الدماء والدموع، وعناء سهر تحت أضواء الشموع، لقد اقتاتت كل كلماته على قلوب المتقين ودماء الصالحين ودموع العابدين، فوصلتنا كثمرة يانعة، قطوفها دانية، لو قال الظواهري "نَعَم" لجلست أفكر ألف مرَّة لماذا لم يقل "لا" ، لا أريد أن أسأل رجلا بعلم الظواهري وخلقه عن مَسائل الجهاد وحسب ، بل أحياناً أقول: لو أسأله عن الميراث؟ عن نصاب الزكاة، عن أحكام الوديعة، عن المسح عن الجوربين، فلا أشك لحظةً أن هذا المحيط العلمي سيروي غَليلي و يشفي عَليلي.... هذا يا هازئين هو الإمام الظواهري قدس الله روحه) وأقول هذا يا حمقى الأردن حب أبي دجانة للظواهري!.

فأخبر أبو زيد أبا دجانة بالخبر وأن هناك فريقاً كاملاً من كبار الاستخبارات الأمريكية يرغبون في مقابلتك!، وبالفعل فقد كانوا على اطلاع بمستجدات أخبار أبي دجانة الذين رأوا أنه أهم مخبر لهم عن تنظيم القاعدة، وقد ذهب بهم الحماس والفرح بما سيقدمه لهم من معلومات هامة إلى أن يجتمعوا لهذا اليوم المشهود لينتظروا على أحر من

الجمر تلك الهدية التي تريد الاستخبارات الأردنية تقديمها لهم، بل إن صحيفة نيويورك تايمز قالت إن البيت الأبيض كان مطلعا على موعد الاجتماع.

لم يظهر أبو دجانة لأبي زيد اهتماماً بمقابلة الأمريكان، ولكنه في الوقت نفسه جعله يلهث برغبته في ذلك ويشجع أبا دجانة عليها، ولكن أبو دجانة رفض ذلك وقال لأبي زيد: "أنا عميل للأردن وليس لأمريكا!"، فما كان من أبي زيد إلا أن يزيد في ترجيه وتوسله لأبي دجانة حتى يرضى بمقابلة الأمريكان وحتى لا يحرج استخبارات الأردن معهم!.. وقد كانت هذه خدعة من أبي دجانة وإلا فهو يرغب بالاجتماع بالأمريكان حتى يقتلهم ولكنه أراد أن يوهم أبا زيد بعدم حرصه على لقاء الأمريكان، وبهذا أيقن أبو زيد أن أبا دجانة لا يريد مساس الأمريكيين بأي سوء ولا يوجد عنده أي تخطيط لذلك!.. ولو كان عكس هذا فلماذا يرفض مقابلتهم بهذا الشكل العجيب.

لقد حرص أبو دجانة على أن يكون أبو زيد موجوداً معه إذا اجتمع بالأمريكان حتى ينهي حياته وحتى يدخل إلى الاستخبارات الأمريكية من غير تفتيش، فوافق أخيراً لطلب أبي زيد وهو الحضور إلى الاجتماع مع الضباط الأمريكيين ولكن بشرط أن يكون أبو زيد معه في هذا اللقاء خشية خيانة الأمريكيين له!

لقد قرر أبو دجانة أن يعطيهم درساً في فعالية الحزام الناسف الذي طالما تمنى أن يرتديه ويزين صدره به، وأذكر في بداية مجيئه لساحة الجهاد كان يلح كثيراً على القادة والمسئولين في أن يسمحوا له بتنفيذ عملية استشهادية، وكان يحدثني كثيراً عن شوقه ورغبته لمثل هذه العملية، ويقول لي: إن الإخوة يقولون له أنت طبيب والمجاهدون محتاجون لك في هذه الفترة.. فكنت أقول له نفس كلام الإخوة، واقتنع أخيراً وطلب من الهالك أبي زيد مبلغاً من المال وفعلا لبى الهالك طلب الشهيد ووصل المال

للمجاهدين واشترى به أبو دجانة سيارة يشتغل بها في إسعاف الجرحى والمصابين من الخطوط الأمامية، واشترى بها كذلك أدوية وأدوات طبية، وبدأ بمشروع علاج الإخوة جزاه الله خير الجزاء.

ولكن ومع هذا فما زالت فكرة تقديم روحه لله سبحانه وتعالى تراوده طيلة بقاءه في ساحة الجهاد وكان دائماً يحرض على العمليات الاستشهادية ويسأل الإخوة عن استعداده لها، يقول عن المجاهدين: (أنني وقد جلست بينهم مدة طويلة نحرِّضهم على العمليات الاستشهادية ونحرِّضهم على هذا العمل المبارك، بل إني كنت أسأل كل شخص ألقاه، لا أسأله من أين أنت أو ماذا تفعل، كنت أسأله هل أنت مستعد للعملية الاستشهادية –والله لست أنا أمير الاستشهاديين ولكني أحبهم وأتمنى أن أكون أحدهم أحب أن أشارك حياتي وجهادي مع أناسٍ يحملون في داخلهم روح الاستشهاد– فكنت أسأله والحمد لله وجدنا هنا ما تقر به أعيننا من إخواننا الاستشهاديين)، ولما جاءته هذه العملية ما كان منه إلا أن يقبلها ويفرح بها، يقول: (فهذه نعمة من الله عز وجل أرسلها لي: نعمة من فوق سبع سماوات أن يكون لدي فرصة لأن تتحول أشلائي إلى شظايا، تتحول عظامي إلى شظايا، تتحول أسناني إلى شظايا لتقتل هؤلاء المجرمين من أمريكان وأردنيين من الاستخبارات. كيف أرفضها؟! يعني حقيقة هذا عرض جاء من الله وهدية، هدية من الله عز وجل، فكيف أفرط فيها؟ كيف أسمح لشخص آخر أن يقوم بهذا العمل، لو فرضنا أنه يمكن لشخص آخر أن يفعله؟ لا يمكن أصلاً أن يقوم به إلا أنا، على اعتبار أنني صاحب العلاقة، ولكن ولو فرضنا، فوالله، لن أسمح لأي شخص آخر أن يفعله بعد أن رزقني الله هذه النعمة "مقشرة"، أن أقوم بقتل هؤلاء. ثم هناك رسالة أخرى: عندما يظنون أن هذا الرجل هو جاسوس، ثم هذا الرجل يتحول إلى قنبلة، هذا الرجل يتحول إلى صاروخ، وهذا الرجل

يتحول إلى متفجرات، تضعف عزيمة العدو ويفهم أن أبناء هذا الدين لن ولم يكونوا أبداً ليساوموا على هذا الدين، فهذا الدين هو أغلى من كل ما يملكون والحمد لله رب العالمين).

ذهب أبو دجانة فاشترى بأموال الاستخبارات الأردنية متفجرات من نوع C4 ، **ولكن كيف سيدخل عليهم بهذه المواد؟**

أخبرهم أنه محتاج إلى أن يلبس سترة واقية من الرصاص حتى يؤمن حياته من "الإرهابيين" إذا انكشف أمره، فوافقوا على أن يأتيهم بها، ولم يدر في بالهم أنها ستكون سترة تسوقهم إلى نار جهنم!، فأخرج ما كان محشواً فيها وحشاها بالمتفجرات بمساعدة أخوين أوكلا بمرافقة أبي دجانة من قبل قيادة التنظيم فجزاهما الله خير الجزاء، وهذا هو السر الأكبر الذي بحث عنه المحللون والصحفيون وما اهتدوا إليه سبيلا، فقد كان الجميع يتساءل كيف لم يفتش أبا دجانة ؟ والقول الأقرب للصواب: أنه قد فُتِّشَ ولكن بدون أجهزة متخصصة لأنهم في قاعدة عسكرية وليسوا في مطار أو في مهمة لكشف المتفجرات فضلا على أنهم لم يدر في بالهم أنه سيفعل فعلته بهذه الطريقة!، فربما فتشه الحراس بطريقة لمس جسده بأيديهم قبل دخوله، فلم يثر انتباههم الحزام الناسف لأنه أصلا أخبرهم أنه سيلبس سترة واقية ضد الرصاص وهي تكون صلبة الملمس كالمواد المتفجرة.

وكذلك حصل لأبي دجانة حادثٌ بعدما وافق أبو دجانة على لقاء الأمريكيين، حيث صدمه سائق دراجة نارية وهو يمشي، فأصيب بكسور بسيطة، فقال لأبي زيد أنه لا بد من تأخير اللقاء لهذا السبب ولأنه لا يستطيع الحضور وهو مضمد بالضمادات الطبية، فأخبره أبو زيد أنه لن يكون هناك أي تكليف في حضوره للقاء وسيكون مجرد ساعات

معدودة، فقال له أبو دجانة: إذن سآتي لكم بالضمادات!، فكان توفيقاً إلهياً في أن تكون الأسلاك وزر التفجير مغطاة بشكل طبيعي بهذه الضمادات بحجة إصابته بالكسور.



(أبو دجانة الخراساني وتبدو على عينيه آثار الحادث قبل تنفيذ العملية)

وكذلك ولكونه من ضمن المجاهدين الذين لا ينفك عنهم السلاح في حياتهم اليومية فكان من الطبيعي جداً أن يأتي أبو دجانة حاملاً سلاحه معه، وربما ساعده ذلك في تخطيه للتفتيش، فأظن أنه أعطى الحرَّاس السلاح حتى يكفهم عن التفتيش الكامل الكلي ويظهر لهم حسن النية.

نعود للوراء قليلاً، فبعد أن اتفقوا على موعد اللقاء أخبروه بأنه سيأتيه رجلٌ أفغاني في المكان الفلاني كي يركب معه في سيارته ويوصله إلى المحطة الثانية، وبالفعل جاء الرجل،

وتمكن رجال القاعدة ولله الحمد من تصوير هذا الرجل ورصد تحركاته حتى عرفوا مكانه، وقد تمكن المجاهدون بعد العملية المباركة من أسر هذا الرجل ولله الحمد والمنة.

وأظن أن الأحمق أبا زيد أفرط في المدح والثناء على أبي دجانة أمام الأمريكان بحيث جعلهم يصدقون تماماً أنه عميل قد نجح فعلاً في اختراق تنظيم القاعدة، ولعل هذا ساعد أبا دجانة مساعدة كبيرة في تخطيه للتفتيش الكلي.

دخل أبو زيد مع أبي دجانة إلى المكان المحدد لمقابلة الضباط الأمريكيين، وأظن أن الذكاء الذي يحمله أبو دجانة جعله يقود الموجودين للالتفاف حوله حتى يضمن قتل أكبر عدد منهم، وقد قرأت في إحدى الروايات أن أبا دجانة أخرج لهم ورقة من جيبه وطلب منهم أن يتحلَّقوا حوله حتى يريهم خريطة مكان تواجد الإمام الدكتور أيمن الظواهري.

وأظن كذلك –بسبب معرفتي بطبيعة أبي دجانة– أنه أسمعهم شيئاً فتح به أفواههم قبل أن يكبِّر ثم يُنهي حياتهم ويفتح لهم أبواب جهنم بضغطة زرٍّ فجرت حزامه الناسف، فقتل فوراً أكثر من سبعة من كبار ضباط الاستخبارات الأمريكية وعلى رأسهم مديرة قاعدة "تشابمان" –والتي قد حصلت بها العملية– في ولاية خوست الأفغانية مع عبدهم الأردني الأحمق علي بن زيد وجرح عدد آخر، يقول مايكل شوير[٥] : (إن من بين القتلى في هذا الهجوم أهم خمسة خبراء أميركيين في شؤون تنظيم القاعدة وحينما نفقد هذا النوع من الخبرات سيصعب عليك إيجاد البديل بل يستحيل في المستقبل القريب). ويقول عنهم جاك رايس وهو عميل سابق لـ CIA: (إن الضباط السبعة الأميركيين الذين قتلوا في خوست من أفضل الضباط في العالم كله كل في تخصصه)

[٥] - الرئيس السابق لوحدة تعقب الإمام أسامة بن لادن.

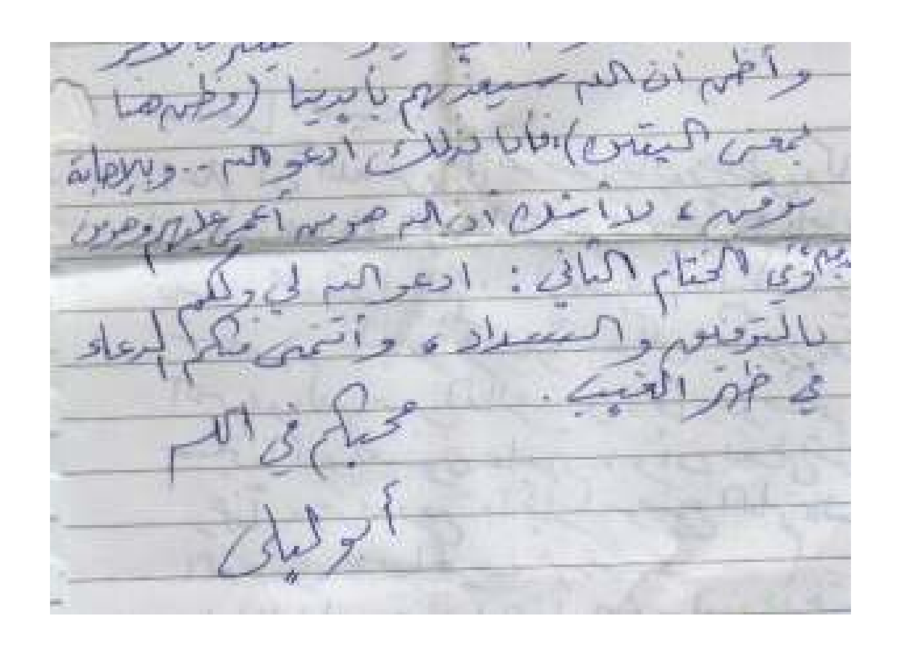
قُتلوا جميعا ومعهم عبدهم الهالك سليل العائلة الحاكمة الأردنية علي بن زيد ضابط الاستخبارات الأردني ميلاداً والأمريكي ولاءً.

لقد كان الأحمق أبو زيد علي متحمساً جداً لحرب المجاهدين فكان جزاؤه أن يوقعه الله في شرِّ أعماله، حتى أن أبا دجانة يقول عن أبي زيد أنه كان يفكر في الشيخ عطية الله أكثر مما يفكر في أهله!..، بل كان يتصل في اليوم الواحد على أبي دجانة أكثر من عشر مرات وفي أوقات مبكرة جداً أحياناً، وأكثر من هذا فقد كان يشرح لأبي دجانة كيف أنه يصفع المجاهدين أثناء التحقيق، -فكان جزاؤه أن يصفعه أبو دجانة صفعة لا يفيق منها إلا عند سؤال منكر ونكير انتقاماً للإسلام والمسلمين-.

لقد أثبتت هذه العملية بدرجة كبيرة حجم الـCIA التي كان يصورها لنا المخدوعون والمغفلون بأنها التي تعلم السر وما يخفى، ولقد بث في قلوب من يعمل بهذه المؤسسة القذرة الرعب والهلع فنقلا عن مجلة تايم الأميركية: (إن هجوم خوست سيؤدي إلى أن أيا من موظفي الاستخبارات سيعيش هاجس أنه الهدف القادم).

وكانت رسالة عظيمة لكل من يحاول المساس بالمجاهدين وإغرائهم بالحياة الدنيا، ولقد قال أبو دجانة تلك الكلمة التي لو كتبت بماء الذهب لم تعطَ حقها: (هذه رسالة لأعداء الأمة من مخابرات الأردن ومن الاستخبارات المركزية الأمريكية، أن المهاجر في سبيل الله لا يعرض دينه في سوق المساومات وأن المجاهد في سبيل الله لن يبيع دينه ولو وضعت الشمس في يمينه والقمر في يساره.)

(**هذا هو هدفي: قتلكم، وقتل زميلكم الأردني، وإن شاء الله سأنتقل إلى الفردوس الأعلى، وستنتقلون أنتم إلى الجحيم، ويوم القيامة سوف نلتقي إن شاء الله مرة أخرى. والعزة لله والله أكبر**.)



وأظن أن الله سيعذبهم بأيدينا (وأظنها
بمعنى اليقين) فأنا لذلك أدعو الله .. وبالإجابة
موقن، ولا أشك أن الله [illegible]
[illegible] الختام الثاني: أدعو الله لي ولكم
بالتوفيق والسداد، وأتمنى منكم الدعاء
في ظهر الغيب.
محبكم في الله

وتلألأَتْ غُرَرُ الْبشائرِ عِنْدمـا　　أذكى بِسَاحِ الرُّومِ ناراً تُضْـرَمُ

لله درُّ أبــي دجــانـة إنـه　　أغنى غَناء الجيشِ وهْوَ عرمرمُ

فاجتـاحـهم في بغتة أبقى لهـم　　أثراً على مرِّ اللـيالي يؤلـمُ

حَيَّ الإلاهُ هُمَــاماً الْبَلَوِيّ إذْ　　رَكِبَ المَهَالِكَ رغْبَةً لايُحْجِــمُ

جاشتْ حميَّتهُ وقـامَ برُوحِـهِ　　دُون الْحبيبِ يذُودُ عنْهُ ويُقدمُ

أقْرى الصَّليبَ وحزْبَه في ساحـةٍ　　ضجَّتْ مآتــمُ أهلهِ وتيتمُوا

قطوف دانية وكلمات باقية

لقد كشفت هذه العملية عن حقيقة مكشوفة في أعيننا من زمن بعيد –ولله الحمد– ولكنها في نفس الوقت مستورة وخافية على الكثير من السذج والمخدوعين، وهي أن

الحكومات العربية عميلة لأمريكا تعبدها وتسبح بحمدها، وتسمع وتطيع أوامرها، وتتحرك بتوجيهاتها، وليت شعري أي وقاحة يمتلكها ملك الأردن وحاشيته عندما استقبلوا جثمان الأحمق الهالك أبي زيد ووقفوا له احتراما وإجلالا!، وقرءوا على روحه الفاتحة!! وكان من المفترض إن كان فيهم ذرة حياء أن يتبرؤوا منه ويدفنوه في أقرب مزبلة لأنه وبلا شك قد دخل بعد موته في مزبلة التاريخ.

لقد قتل الضباط الأمريكيون وصاحبهم الأردني وأخجلوا من وراءهم من أصحابهم وأجبروهم على أن يدسوا وجوههم في التراب، وفي نفس الوقت مضى أبو دجانة مرفوع الرأس شامخاً محققاً لأمنيته التي سعى لها وكتب عنها، يقول عن تلك الأمنية العظيمة: (كم كنت أتمنى أن أَكون حقيقة، أواجه أعدائي بكل شجاعة، ثم أموت شهيداً في سبيل عقيدتي، كم كنت أتمنى أن أثبت للعاَلم أن روحي ستبقى حرُة مهما فعلوا بجسدي، كنت أتمنى أن أحرق سفني وأنزع لثامي وأكشف كل أوراقي، ثم أحمل على أعداء الله لا ألوي على شيء، فأشق بحر السرّاب بعصا موسى... متجهاً نحو برّ الحقيقة .. كنت أتمنى أن أكتب قصة حياتي كرواية جهاد في سبيل الله أنا بطلها، حيث يموت صاحب القصة تحت راية " لا إله إلا الله " حتى قبل أن يرى النصر! لينال أجره تاماً).

كان أبو دجانة يحمل عقلاً فريداً وقلباً رقيقاً ونفساً عزيزة تأبى العيش في الهوان، وسأحاول في نهاية هذه الرسالة أن أذكر بعض المواقف التي نستطيع منها أن نرى بعض ملامح هذه الشخصية الفريدة.

كان يسألني أبو دجانة فيقول: لو علمت أن إحدى أخواتك مأسورة في مكان ما، وتستطيع أن تخلص أسرها بأن تفديها بنفسك فهل ستفعل؟ فقلت له وبكل تأكيد

نعم! فنظر إلي بنظرة لم ينظرها لي شخص من قبل! فسبحان الله ما هذه النظرات؟ لم أقل إلا كما يقوله أي مجاهد في سبيل الله، ولربما لو قلتها مرارا وتكرارا لما لفتت انتباه أي أخ!، ولكنه أبو دجانة .. إنه رجل يعظِّم التضحيات ويعرف قدرها، ويغوص في أعماق الكلام ويقدر حجمه، وهاك الدليل من كلامه: (استغرب منهم "يقصد المجاهدين"... لماذا لا يبكون أمامي عندما يذكرون إخوانهم الشهداء وليس عندهم قانون يمنع البكاء؟ إذا ذكر اسم شهيد أمامهم ممن عرفوا تجد الدمع يتجمد في مآقيهم وكأنه قطرة ندى على ثغر وردة شامية، تجد البكاء في نظراتهم الشاردة أبلغ من العويل، أحياناً أضطر للصمت رأفة بحالهم بالرغم مما ينتابني من رغبة في الاستماع إلى سير الأبطال، إذا رأيت جمل أحدهم تتباعد والإيقاع يبطؤ والأنفاس تفشل في إطفاء نار الشوق في صدره، أتركه وأذهب..لأني إن لم أفعل فهو من سيفعل ذلك، ولذلك تجد معظم قصصهم ناقصة، حائرة تبحث عن نهاية.)

وأبو دجانة رجل يتأثر كثيراً بمآسي المسلمين وخاصة أخواتنا الأسيرات عند الكفار، يقول مخاطباً إخواننا في الأردن: (آن لكم أن تثأروا لأختنا ساجدة الرشاوي، كيف يغمض لكم جفن وأنتم تعلمون أنها أسيرة بيد طواغيت الأردن!؟)، وانظر إلى أمنيته عندما سمع عن هذه القصة: (داهم الأمريكان في يوم من الأيام قرية أفغانية لإلقاء القبض على اثنين من قادة الطالبان الذين أذاقوهم الويل، وبعد مقاومة شرسة استشهد الرجلان نحسبهم كذلك والله حسيبهم، ولكن هذا لم يشف غليل عباد الصليب، فأخذوا زوجاتهما إلى الطائرة المروحية ثم حلقوا عاليا وبدءوا برمي ملابس النساء إلى الأرض ليرى أهل القرية ما حل بزوجتي الشهيدين .

عندما أتذكر أحداث هذه القصة وأتجرع مرارة المشاهد لحظة بلحظة، أتمنى لو أن لي ألف ألف حياة على سطح هذه الأرض لأزهقها واحدة تلو الأخرى من أجل الثأر لأخواتنا المسلمات العفيفات، أتمنى لو أن علماء السوء ممن يشاركون الأمريكان في هذه الجريمة من خلال فتاواهم الخسيسة التي تحرم الجهاد وتشرّع الاحتلال، أتمنى لو أنهم يجمعون في صعيد واحد ثم يرجمهم أيتام المجاهدين وأراملهم بالأحذية حتى يدفنوا أحياءً تحت النعال.

لا تفتح عينيك أخي بعد، فالمشهد لم ينته! وتخيل، أن هؤلاء الأخوات، تخيل أنهن أمهاتكم أو أخواتكم أو زوجاتكم، هل تجرؤون على تخيل ذلك؟ هل تجرؤون على التفكر في ذلك؟ إن كان جوابكم: لا، فاعلموا أن هذا هو ما يحصل حقيقة على أرض أفغانستان، هذا ما يفعله الكفار الأنجاس بالمسلمات العفيفات الطاهرات، هذا هو مشهد واحد من المشاهد العديدة التي يغيبها الإعلام عن الناس فماذا أنتم فاعلون وقد علمتم؟

عجبي لبعضكم، كيف يستطيع أن يعود إلى حياته وشهواته بعدما سمع كلامي هذا وكأن الأمر لا يعنيه. ما قلته لكم يا مسلمون لم يكن قصة من تراث الهنود الحمر، لم يكن مشهدا من مأساة حرب فيتنام، إنه يحصل على أرض المسلمين يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، هؤلاء النساء اللواتي كشفت عوراتهن واغتصبت أعراضهن هن من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبلون قبلتنا ويصومون شهرنا ويحجون إلى بيت الله الحرام، فلا خير فيكم إن لم تنصروهن ولا رجولة فيكم إن لم تثأروا لهن)

وقال لي عنه الأخ موسى البريطاني: (كان يضحكنا ثم يبكينا عندما يذكر أخواتنا اللواتي في أيادي الكفار كعافية صدّيقي وساجدة الرشاوي وأخواتنا من المسجد الأحمر. كان

باكياً يتحدث عن الأمة وكيف باع أمراؤها إيمانهم ودماء المسلمين للكفار بدولارات بخسة).

فلينظر أعداء الله إلى شعور المسلمين وتأثر رجال الإسلام من هذه المواقف التي ما تزيدهم إلا خساراً، والغريب أن الكفار لم يستوعبوا الدرس إلى الآن رغم طول الحرب التي يخوضونها مع الإسلام، فلم يعلموا أن المسلم يتمنى أن لو يموت ألف ميتة على أن لا يمس الكفارُ مسلمةً طاهرةً عفيفةً، يتمنى أن لو تُنزع روحه انتزاعاً على أن لا يُنزع النقابُ من على وجه مؤمنةٍ شريفةٍ!، يقول أبو دجانة: (بوش بن بربرة "هذا اسم أمه و ليس وصفا أو شتيمة" يحرض المسلمين على الالتحاق بركب القاعدة من خلال سياساته البربرية ، و أبو مصعب الزرقاوي كان يفعل ذلك من خلال خطاباته و أفعاله البطولية.

الحكام العرب ومحاكمهم و سجونهم يدعون الناس للالتحاق بالقاعدة ، وكذلك من يطاردونهم من رجال التنظيم.

الفساد و الفحش الذي تنشره قنوات الإفساد الفضائية تحرض المسلمين على الانضمام للقاعدة كرائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بينما تصب جهود الدعاة المخلصين الذين ينشرون الفضيلة في نفس الخانة، صور أجساد الأطفال الممزقة في فلسطين والعراق وأفغانستان، مشاهد النساء الباكيات على أنقاض منازلهم، يحرضون على اللحاق بركب أسامة، وكذلك مشاهد انتصارات المجاهدين وأفلام إذلال المحتلين من أسلحة التنظيم في جذب انتباه عشاق الحرية وطلاب العلية ،كل هؤلاء الأشخاص المتناقضين، كل هذه المشاهد المتناقضة، اتفقوا على شيء واحد هو نشر فكر القاعدة القاعدة هي انفجار،

القاعدة إعصار، القاعدة التهاب حاد يهاجم الجراثيم التي تغزو ثغور الأمة ،القاعدة بركان عبير، القاعدة زلزال صابرين، القاعدة تسونامي محمد الدرة)

كان أكثر ما يتكلم به معي هو خوفه من العُجب بالنفس، فكان دائما يستعيذ به، ولقد جاء لنا ومعه كتاب "حطم صنم نفسك" الذي يتكلم عن العجب وطرق التخلص منه، وكان كتاباً رائعاً يحبه أبو دجانة، ثم بقي الكتاب مع الشيخ عطية الله بعد مقتل أبي دجانة رحمه الله.

سهرنا ذات ليلة وكنا ننام بالمقربة من بعض في الخارج قريبا من مكان حراسة الإخوة وكان يتحدث لي عن شوقه لأهله ولابنتيه ليلى ولينا –حفظهما الله وأصلحهما– وعن أمنيته في لحاق زوجته وابنتيه به في أرض الجهاد ، وكان يحدثني عن أبيه وشقيقه الدكتور أيمن وأنه يتأمل خيراً كثيراً فيه، وكان ساعتها يحرسنا أحد الإخوة الأعاجم الذي قرر أن يحرس بدلاً منا فرفضنا ذلك لحالته الصحية، إلا أنه رفض أن يتزحزح عن مكان الحراسة فكان الواحد منا يحرس معه، يقول عنه أبو دجانة: (مسلم من الأعاجم مصاب بمرض أعطب ساقيه فلا يكاد يمشي إلا على يديه، ولكن نفسه الأبية أبت إلا أن يلحق بإخوانه في أرض الجهاد.

وعندما وصل إلى مركز المجاهدين، طلب من الأمير أن يضع اسمه في جدول الحراسة الليلية، وعندما رفض الأمير ذلك بدأ بالبكاء واشتد حزنه، فقبل بعدها الأمير ذلك تطييبا لخاطره، وصار يبكي من الفرح والسرور أن عينيه ستبيت ليلة تحرس في سبيل الله. وقدر الله لي أن أنام في الخارج بالقرب من نقطة الحراسة لأشهد ما حصل تلك الليلة.

فمنذ أن بدأت الحراسة وإلى أول خيوط الفجر، وأحمد جالس على كرسيه المقعد مرابطا حارسا في سبيل الله ذاكرا لله مستغفرا باكيا فأدهشني فضل الله على ذلك الرجل أن رزق عينيه في ليلة واحدة نعمة الحراسة في سبيل الله ونعمة البكاء من خشية الله.

ولقد كان النوم يغلبني أحيانا فأنام وأستيقظ وهو على حاله لا يفتر، وقد كان بقية الحراس يتبادلون المناوبة بينهم وهو في مكانه مرابطا صابرا. كنت أسأل نفسي مستغرباً، هل يعرف المسلمون في بلداننا بوجود هذه الأمثلة الجهادية في وقتنا المعاصر، أم أنهم غروا بما يرونه حولهم من أرتال القاعدين وطوابير المخذلين، والله لو لم يكن في الجهاد إلا نعمة مجاورة أمثال هؤلاء الناس والنهل من معين سيرهم لكفاه، فتأملوا يا معشر المترددين في ما فوتم على أنفسكم من خير.)

يقول موسى: قبل العملية بأيّام وقع لأبي ليلى حادث في الطريق فحصلت له كدمة تحت عينه اليمنى وأصيبت بعض ضلوعه ورجله اليمنى فنصحه الإخوة أن يؤجّل العملية بسبب كثرة تألمه من الجروح ولكن ما زادته إلا إصرارا على تنفيذها قائلاً: (ما أضعفنا! إنما هذه تذكرة لي بأن كل القوة تستمد من الله، وأن الموت ينتظرنا خلف كل لفّة، فليكن خروجنا من هذه الدنيا بأحسن طريقة) وما ازداد إلا فرحاً بذهابه لملاقاة ربه في هذه الحالة. ولو كان آخر لارتاح حتى أن يبرأ من جروحه!

خلال فترة تواصل أبي دجانة مع الاستخبارات لاحظ بعض المسئولين والإخوة – الذين لم يكن لهم علم بطبيعة المهمة التي أوكلت إلى أبي دجانة لتنفيذها– بعض التصرفات التي هي من صميم عمله السري والتي جعلتهم في ريبة من أبي دجانة، فأخبروا القيادة بها وكتبوا التقارير المفصلة، حتى أن أحد الإخوة عندما لاحظ على أبي دجانة بعض التحركات في الليل فقام بتفتيش حقيبة أبي دجانة سراً ثم واجهه جهراً بما

يجده في نفسه عليه وغلّظ عليه وشدّ عليه في الكلام، وفي الحقيقة كانت هذه التحركات الليلة يفعلها أبو دجانة حتى يمشي إلى مكان لا يراه أحد ليصلي التهجد، وبالرغم من ذلك ومن كثير من المواقف المشابهة لم يفصح أبو دجانة عما ينوي فعله رغم أن الأمر شديد على النفس، وهذه طبيعة رجل الاستخبارات البارع والذي لا تجبره شدة الضغوط النفسية والتصرفات الاستفزازية على البوح ولو بشيء يسير مما وكّل به.. فقد كان أبو دجانة يستطيع مثلا أن يخبر هؤلاء الإخوة بأنه مكلف بعمل ويستطيعون أن يستفسروا عنه عن طريق الأمراء، ولكنه كتمها في نفسه إلى أن أظهرها الله على رؤوس الخلائق، وكأنه كان يقول لهم في نفسه: موعدنا يوم العملية!

وكأني أرى بعض الإخوة الذين كانوا يشكون فيه ويتهمونه باتهامات –مبررة في ظاهرها– كأني أراهم اليوم وبعد أن وُفِّق أبو دجانة لهذه العملية العظيمة يعضون أصابع الندم على كل كلمة قالوها في هذا الجبل الأشم بل ويتمنون أنهم فعلوا فعلته.!

ومع أنه كتب لي أني من أغلى المجاهدين على قلبه "في خراسان" فلم يخبرني بالعملية وتفاصيلها وظل يكتمها في صدره.

وأنا أوصي كل من يرغب بتنفيذ عمل كبير –كعمل أبي دجانة– أن يلزم الكتمان في عمله حتى عند أقرب الأقربين له، فهذا مفتاح نجاح كثير من الأعمال الجهادية العظيمة.

لما نفذ أبو دجانة بنفس العملية الاستشهادية عرف الجميع صدقه في التحريض على العمليات الاستشهادية.

أعْظِـمْ بِها من جنَّة فزتـم بهـا   أربـح بها من صفقة لا تغْـرمُ

الحـور صعب أن تُنال ومـهرها   بذل الدماء وذاك مهر يَعظُـمُ

فانعم بخاتــمة وليس يـحوزها إِلَّا امْرؤٌ يأْتِي الصِّعَابَ وَيَلْــزَمُ

واظفر بِفِرْدَوسِ الْجِنَانِ وحُورهَا واهْنَأْ بها فهْـــي النَّعيمُ الْأَدْوَمُ

لم ينس أبو دجانة شيخه وحبيبه عطية الله حتى في ليلة العملية، فقد أرسل له رسالة ذكَّره فيها بحبه له، وأن مجرمي الاستخبارات الأردنية الذين أرسلوه لكي يقتله لا يساوون فردة نعاله!، وقال له أنه إذا أكرمني الله بدخول الجنة فسأقابل ابنك الشهيد (إبراهيم) وسيخبره عن أبيه.

فرحمك الله يا أبا دجانة.. لقد كتبت بدمك قصة فريدة، يقول عنها الشيخ أبو يحيى الليبي —حفظه الله– (إن أعظم ما فيها هو التوفيق الرباني الخالص والمعية الإلهية التي رافقت صاحبها خطوة خطوة، حتى لكأنها تحكي لنا قصة موسى عليه السلام الذي تربى في حجر فرعون ثم كان له ولجنوده عدوا وحزناً.)

وختاماً: أنقل لكم بيان قيادة تنظيم القاعدة في تبني عملية أبي دجانة رحمه الله، ونقلته لأنه اختصر كل ما ذُكر أعلاه بعبارات دقيقة بليغة:

(في ظل إمارة أفغانستان الإسلامية، بارَكها اللهُ وأعزها، وفي شجاعةٍ قلَّ نظيرها وإيمانٍ وعزمٍ وإصرار، وتوكلٍ على الله، وشوقٍ إلى لقائه عز وجل، ورغبةٍ جامحةٍ في رضوانه، وإيثارٍ عجيبٍ لما عنده، وبعد صبرٍ ومعاناةٍ وحُسنِ تخطيط وبديعِ تدبير وملحمةِ اختراقٍ مسدَّدةٍ لاستخبارات العدوّ الكافر (الأردن وأمريكا)، والحربُ خدعة، بلغَ المجاهدُ البطلُ الدكتور (طبيب) أبو دجانة الخراساني (همام خليل محمد أبو ملال) الكاتب الداعية المشهور على المواقع الجهادية في الشبكة المعلوماتية، المهاجر والمجاهدُ بنفسه وماله – بلغ– ذروَةَ جُهدِهِ وتمتْ ألطافُ الله عليه وكلاءتُهُ له، وأقدم مقبلا غير مدبر مستبشراً

منفِّذاً عمليته الانغماسية الاستشهادية مفجّراً حزامَه الناسف البديع المتقن المستور عن أعين الذين لا يؤمنون بالآخرة في جمعٍ من رجال الاستخبارات الأمريكية والأردنية، في خوست بأفغانستان، ليلة الخميس ١٤محرّم ١٤٣١هـ الموافق : ٣١ديسمبر ٢٠٠٩م ثأراً لشهدائنا الأخيار كما كتب في وصيته رحمه الله : انتقاماً للقائد الأمير بيت الله محسود وللقائدين أبي صالح الصومالي وعبد الله سعيد الليبي وإخوانهم رحمهم الله.

فرحمك الله يا أبا دجانة ورفع درجتك في عليين، فزتَ وربِّ الكعبةِ يا أبا ليلى، إن شاء الله، وصدقتَ وبررتَ، وضربتَ الأمثال، وصدَّقت الأقوال بالفِعال، وأتعبتَ الكاتبين من ورائك والقائلين، فلله درّك ولله صبرُك وجهادُك وتحمّلك الأذى في سبيل الله، ولله دعاؤك وإلحاحُك، ولله خلواتُك ومناجاتك، وعلى الله أجرُك، والله مولاك وعند الله الملتقى في الفردوس الأعلى إن شاء الله أيها الحبيب.

نسأل الله أن يبارك على آثارك وفي أهل بيتك.

وإن إخوانك على طريقك سائرون ولن يهدأ لهم بالٌ ولن يفارق سوادُهم سوادَ الأمريكان حتى يفتكوا بهم أعظم وأعجب الفتك بإذن الله.. ولتهنأ ولتفخرْ أمةُ الإسلام بأمثالكم. والله أكبر ولله الحمد.).

نعم ولتهنأ أمة الإسلام بأمثال أبي دجانة ..

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين.